7me Année No. 291

Lundi - 30 - 1 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٣٠ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

عيـــد الفقير ...

عيد الفقير! وهل للفقير عيد؟

نعم للفقير عيد إذا أردنا به الشعائر الدينية والقومية؛ فهو يصلى العيد، ويزور المقبرة، ويعيّد على آله وصحبه، ويُكرِه السرور النافر على الإلمام ببيته وقلبه، ويجعل من المساجد والحدائق والميادين مظاهر إخلاص وشكر لوطنه وربه

فإذا أردنا بالعيد التقلب فى وثير الفراش من غير صلاة، والتنافس فى ذبح الكباش من غير تضحية، والتأنق فى الزينة والثياب، والتفنن فى الطعام والشراب، والتبسط فى اللذة واللهو، والتهادى بين التيه والزهو، فذلك عيد الباشا والأمير، لا عيد المسكين والفقير

وارحمتا للفقير قبيل العيد! يرى متاجر الملابس واللُّعب والحلوى قد ازّينت واجهاتها البلورية بالعُروض الجذابة والنماذج المغرية، فينظر إليها نظر الراغب المحروم، ويذكر أطفاله الغارّين فى حنانه وهم يحلمون بالثوب الجديد واللعبة المسلية والأكلة الشهية والنزهة الممتعة، ويعتقدون أن أباهم قادر على أن يجعل عيدهم سعيداً وحلمهم يقظة، فيكرُبه الأسى وتصيح الحسرة فى نفسه:

— حنانيك يا رباه! هذه نعمك واسعة سابغة، ولكن القدر لحكمة لا يدركها البصر المحدود جعلها لغيرى لذة بالقدرة.

الفهـــــرس

ولنفسى ألماً بالعجز، ولأولادى شقاء بالحرمان . فليت القدرة تعرف الرحمة، وليت العجز يدرك المعونة، وليت الحرمان يخطئ الطفولة، وليت الأيام تمضى إلى غايتها من غير عيد ولا موسم !!

إن الأعياد مذلة للوالد الفقير وفضيحة للبيت البائس ! ففى الأيام الأُخَر يستطيع العائل المسكين أن يغلق بابه على بؤسه، ويَرُوض أهله على مكروهه ؛ ولكنه فى العيد لا يستطيع أن يضرب على الآذان، ولا أن يختم على العيون، فإن المدافع تقصف فى القلاع، والمزامير تعزف فى الشوارع، والناس يزيطون فى الملاهى، والأطفال فى المراكب والمواكب يرفلون فى الوشى ويلهون باللُّعب ؛ فأولاده لابد سائلون :

يا أبانا، أين الثوب الذى نلبس، واللحم الذى نأكل، والقرش الذى ننفق ؟ أهذا العيد لناس دون ناس، أم هو ذو وجوه شتى منها العابس والباسم، ومنها الدميم والحسن؟ ولِمَ آثرتنا نحن يا أبانا بهذا الوجه الشتيم الكالح ؟

لو كان هذا الرجل فى أمة مؤمنة محسنة لأجاب بنيه بقوله : صبراً يا بنى، فعمَّا قليل يدخل عليكم بابا كم (بيرم) أو عمكم (نويل) بالألطاف والحلوى والحلل من وقفية الباشا فلان، أو من جمعية كذا للإحسان ؛ ولكنه يجيبهم بالدمعة البادرة، والزفرة المحرقة، والنظرة الحزينة، فلا يفهمون إلا أنهم أحقر من هؤلاء الأطفال، وأن أباهم أفقر من هؤلاء الرجال . أما علة هذا التفاوت وإلهنا واحد، وأبونا واحد، وملكنا واحد، ووطننا واحد، فعلّها سيأتيهم مع الأيام إذا ما خرجوا بأنفسهم إلى الحياة فرأوا المكظوظ الذى غصب رغيف الجائع، والملفّف الذى نهب كساء العارى، والمموّل الذى سرق نصيب المحروم

***

حدثنى رجل من ذوى هذه الحال أنه كان يشتغل مياومة فى مصلحة من مصالح الحكومة ؛ فلما قل عليه العمل استغنوا عنه ؛ ولكنه لسوء حظه لم يستطع أن يستغنى عن الأكل، ولا أن يقنع أولاده بالصوم، فراح يطلب العمل فى كل مكان والمعونة من كل إنسان فلم يجد . ودخل عليه عيد الفطر من هذا العام وليس فى يده ما يشترى به الكسى لبنيه والسمك لزوجه. وكان قبل نكبته بأسبوع قد وعد الكبار بالبِذَل والصغار بالهدايا، فسبحت أخيلة الأطفال فى جو من الأحلام عجيب الألوان عبقرى الصور ؛ وأسرعت ألسنتهم الثرثارة إلى إشاعة ذلك فى الرفاق والجيرة . فغُمَّ على الرجل الحال، واعتلج فى صدره الهم، وأصبح حيران لا يدرى ما يقول ولا ما يفعل . تمنى الخروج من هذا المأزق بالمرض أو الموت ؛ ولكن المرض أو الموت إذا أصبح أمنيَّة الفقير امتنع كالخير وعزَّ كالسعادة . فاحتال على العلة بالجوع، فصام النهار والليل حتى هجمت عيناه وانسرقت قواه وبانت عليه نهكة المرض

ودخل العيد بضوضائه وخيلائه على هذه الأسرة البائسة فوجدها عاكفة على سرير مريضها الموجَع، مضرَّمة الأنفاس، لهيفة القلب، لا أمل لها إلا أن يعافى عيدها ويحيا . فانكفأ العيد النشوان المرِح خجلان عن هذا المنظر الأليم إلى مجالى البهجة والنعيم فى قصور الكبراء والأغنياء والسادة . ولولا هذه الحيلة التى أنقذت هذا التعِس بالمرض من غير موت، لأشفى به الخجل والهم على الموت من غير مرض

***

تباركت يا ألله ! لقد جعلت فى عيد الفطر زكاة، وفى عيد النحر تضحية . فهل فهم ذوو القلوب الغُلف والبصائر العُمْى من شرعك العادل أن الفقير يزكى بقوّته حتى يعجز، والمسكين يضحى بصحته حتى يموت ؟؟

احمد حسن الزيات

تقدم الرسالة الى أصدقائها وقرائها فى عيد الأضحى المبارك بالتهنئة الصادقة والتحية الخالصة، وترجو للعالم وللبلاد السعادة الخالصة والنعمة السابغة والسلام الدائم

الأدب والمدرسة

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

« هل كانت علومك المدرسية ذات أثر فعال فى إظهار مواهبك الأدبية ؟ »

سؤال انتقل به صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم إلى « برجه العاجى » من مجلة أدبية فرنسية ألقته على طائفة من أدباء بلادها فكان جواب أحدهم: «يخيل إلى أن الغباء وفقر الذهن وبلادة الشعور وضعف التصور وانعدام الخيال مواد مقررة رسمياً فى المناهج المدرسية »

ويقول الصديق فيما عقب على هذا الجواب « ولو سئلت لما خرجت إجابتى عن هذا المعنى »

وكنا نتحدث فى هذا قبل أن أقرأه فى البرج العاجى من الرسالة، فقصصت على الصديق بعض ما أذكر من عهد المدرسة ووصفت له أساتذتى فى اللغتين العربية والانجليزية وتوخيت الإنصاف وتحريت الحق، فسألنى أن أكتب هذا وأنشره، فوعدت أن أفعل . وقد بدأت أكتب وفى نيتى أن أبر بالوعد، ولكنى بعد أن بلغت هذا الموضع أرانى أميل إلى الإخلاف فما أحب أن أسئ إلى أحد بلا موجب وبغير حق، أو أن أرمى بالجحود والكفران. وأكبر الظن أن الذين علمونى نسوا — أو هم لا يدرون — أنى كنت من تلاميذهم؛ فلو قلت فيهم ما قال مالك فى الخمر ما عرفوا أنهم هم المعنيون ؛ ولو أثنيت عليهم لتعجبوا وراحوا يتساءلون « ترى من كانوا معلميه ؟ » ولعل أكثرهم قد عاد إلى التراب الذى جبل منه ولكنى مع ذلك لا أرانى أقدر أن أضعهم فى الميزان إلا إذا وضعت نفسى معهم

أنا أيضاً كنت تلميذاً ثم مدرساً لسوء الحظ . وكانت ميزتى المحتمة فى أيام التلمذة « الغباء وفقر الذهن وضعف التصور » يضاف إليها الفقر . وكان يبلغ من فاقتى فى ذلك الزمان أن كنت أحتاج إلى القميص الأبيض لألبسه مع البذلة فلا نجد ثمنه ، فتعمد أمى المسكينة إلى ما خلف أبى من قمصان فتصلحها فتضيق من هنا وتقصر من هناك ، ولكن الياقة أو البنيقة كانت تعييها فتلبسنيها كما هى ؛ ولو جعلت لى منها حزاماً لكان هذا أصلح. فتصور هذا الطوق العظيم على عنقى. وكنت إذ أمشى بها لا أدرى ماذا أصنع وكيف أبلغ المدرسة، لأنى كنت أحتاج إلى كلتا يدى لأهوى بجانبى الطوق عن أذنى، ولكنى محتاج أيضاً إلى حمل الكتب والكراسات فكيف أصنع وليس لى غير يدين اثنتين .. ولا أدرى كيف نجوت من العمى فقد كانت عيناى ترمدان فلا تعبأ بى المدرسة . نعم كان لها طبيب يحضر كل يوم لعيادة المرضى منا فكنا إذا سمعنا ناقوسه نجرى إليه فيصفنا أمامه ولا يجشم نفسه عناء السؤال أو الفحص، بل يقول وهو يشير إلى كل واحد منا على الترتيب : « شربة ، لبخة ، قطرة » فيتفق أن يكون من حظك «القطرة» وشكواك أن رجلك مهيضة ، أو اللبخة وبك زكام . وكنت أذهب إليه لعلاج عينى ولكنى كنت أخرج مأموراً بالشربة أو اللبخة ولا أخرج قط بالقطرة . أما فى البيت فكان كل ما أتداوى به من الرمد الماء البارد .

وآية غبائى وبلادتى أنى كنت فى كل فرقة الأخير ، — حتى مقعدى كان الأخير فى الحجرة — وكنت لصغر جسمى وقماءتى لا أكاد أبدو للمدرس، فهو لا يرانى ولا يحس بوجودى ولا يعنى بى، وأنا أغتنم هذه الفرصة فأتشاغل عن درسه بما يخطر لى من العبث . وكان جارى فى بعض الفرق ضخم الجسم كأنه الفيل الصغير ، وكان لجسامته يحتاج حين يقعد أن يتكئ على الدرج بكلتا يديه ، وكانت عادته أن يمسح وجهه بكفيه بعد ذلك ويتمتم بقوله : « خيبة الله عليكم » — يعنى زملاءه التلاميذ لأنهم كانوا لا يكفون عن ركوبه بالعبث ، فاشتريت مرة قليلاً مما يسمى « بودرة العفريت » ونثرتها على الدرج فاتكأ عليه ومسح وجهه ثم ذهب يحك كفيه وخديه حتى دمى وجهه وانقطع عن المدرسة أياماً حتى شفى . ففطن المدرسون إلى وجودى بعد ذلك وصرت أتهم بكل ما يحدث فى المدرسة ولو وقع فى فرقة غير فرقتى ، فأنا عندهم المحرض أو الموسوس بالعبث إذا لم أكن أنا الفاعل

أما الدروس فما كنت أفهم منها شيئاً ؛ ولم يكن هذا ذنب المعلمين فما كانوا يقصرون فى الشرح والبيان ، ولكنى أنا كنت لا أستطيع أن أنتفع بذلك لأنى أكون قاعداً على ركبتى — فوق البلاط — عقاباً لى على ما لم أصنع فى الغالب — أو واقفاً ووجهى

إلى الحائط أومطروداً من الحجرة كلها. وكيف يمكن بالله أن يفهم شيئاً من لا يزال هكذا — ركبتاه على الأرض أو أنفه على الجدار أو هو يتمشى فى الفناء أو الدهليز ...

وكان أرق المدرسين معى وأظرفهم وألطفهم على العموم إنجليزى أنيق كان إذا رآنى — وما أكثر ما كان يفضى — أخرج على النظام يدعونى أن أقف ويطلب منى أن أتهجى كلمة « مجنون » أو « شق » وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى . ويكتفى من العقاب بهذا

وكان لنا معلم للغة العربية غريب الأمر — كانت حجرتنا مجاورة لحجرة الناظر الإنجليزى ، فكان هذا المعلم يفرغ من إلقاء الدرس وشرحه ومن التطبيق أيضاً فى خمس دقائق على الأكثر ثم يقول : « اغلقوا النوافذ كلها » فنفعل ثم يأخذ فى حديث سياسى يذم فيه عهد إسماعيل ويلعن فيه أيام توفيق ويثنى على الإنجليز أطيب الثناء . ولم يكن أعجب من صنيعه هذا إلا إغلاقه النوافذ ليوهمنا أن الناظر الانجليزى يسوؤه أن يعلم أنه يثنى على قومه ... وكنا نناقشه ونجادله ونخالفه فيوسع صدره ويروح يحاورنا ويداورنا ليقنعنا بأن ما خرب من نفسه عامر ، وكانت تلك أيام مصطفى كامل وكنا نقرأ « لواءه » ونسمع خطبه . وأحسب أنى لا أبالغ إذا قلت أنى تلقيت دروسى الأولى فى اللغة العربية من اللواء والمؤيد لا من معلمى فى المدارس، وتصور أن منهم معلماً كان يكلفنا أن نحفظ كتاب النحو عن ظهر قلب ... بل تصور أنه كان يثنى على التلميذ الذى يقول له فى جواب سؤاله عن الفعل اللازم « ماهو » — « هو ما ليس كذلك » — كما فى الكتاب بالحرف الواحد . ولم أستطع قط فى حياتى أن أحفظ شيئاً عن ظهر قلب إلا إذا جاء هذا عفواً وعن غير قصد، فكانت درجتى فى اللغة العربية هى الصفر دائماً

وكل ماحفظته من الشعر العربى فى المدرسة قصائد قليلة مثل :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

وما إليها — وحتى هذه يخيل إلى أنى ما حفظتها إلا فيما بعد — لما كبرت ، ولكنى أذكر على كل حال أن المدرس الذى كان يغلق النوافذ ويهجو المصريين ويمدح الإنجليز هو الذى كان يتقاضانا أن نحفظ : « إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ، فكل رداء يرتديه جميل » . وقد يكون هذا اتفاقاً محضاً

وكان أساتذتنا فى اللغة الإنجليزية على عكس ذلك ، فكانوا يرشدوننا ويساعدوننا ويقرضوننا الكتب إذا أنسوا منا ميلاً إلى القراءة ، ويصحبوننا إلى مكتبة المدرسة ، ويتخيرون لنا ما يوافقنا وما يسعنا أن نفهمه ، ولا يبخلون علينا بالتفهيم والشرح حتى فى أوقات الفراغ إذا طلبنا منهم ذلك ؛ ولكن بعضهم كان عجيب الشذوذ . أذكر منهم واحداً كان يعلمنا الجغرافيا الاقتصادية فكان يكتب على السبورة رقماً يبلغ من طوله أن بقيته تجىء على الجدار! وكان هذا مبلغ علمه بهذه الجغرافيا . ومنهم من كان يعطينا الدرجات على الخط وجودته ولا يبالى أصبنا أم أخطأنا فى الموضوع ، فأجودنا خطا أعلانا درجة ولو كان أجهل منى

أظن أن المدرسة لا تستطيع أن تعلم الأدب ، وكل ما يسعها ويجوز أن يطلب منها هو الترغيب والتوجيه والتسديد ، وحسبها أن توفق فى هذا ، وأكاد أقول حسبها ألا تنفر من الأدب وتزهد فيه

ابرهيم عبد القادر المازنى

المتنبي وسر عظمته

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

إذا قرأ القارىء قول المتنبي :

وخِلة فى جَلِيسٍ أتقيه بها ... كيما يرى أننا مثلان فى الوَهن
وكلمة فى طريقٍ خفت أعربها ... فيهتَدَى لى فلم أقدر على اللحن
كم مخلص وعُلًى فى خوض مهلكة ... وقتلة قُرِنَتْ بالذم فى الجبن
لا يُعْجِبَنَّ مضيما حسن بزته ... وهل تروق دفيناً جودة الكفن

أحس بما تدعو الحياة إليه من تقيد النفس بقيود التجانس حتى ولو كان فيها قهر أنبل عواطفها ونوازعها ، وأحس بالمعركة التى تدور فى النفس بين نزعاتها من رضاء وإباء وتسليم وثورة ، والتذ مشاركته الشاعر فى تلك المعركة النفسية حتى ولو كانت المشاركة بالعقل الباطن والقراءة بالعقل الظاهر . وهو يحس هذا الإحساس إذا قرأ قوله :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه ... غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار ... حجةٌ لاجئٌ إليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميِّتٍ إيلام

وهو أيضاً يضع نفسه موضع نفس الشاعر فى تلك الرحلة النفسية التى يلتذها بالقراءة إذا قرأ قوله :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهمْ ... ولكنْ معدن الذهب الرغام
خليلك أنت لا مَن قلت خِلِّى ... وإن كثر التجمُّل والكلام

ويزداد اعتداد المتنبي بنفسه ، فلا يزداد القارىء إلا لذة ببيانه عند ما يقرأ قوله :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود
عِشْ عزيزاً أومتْ وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود
واطلب العز فى لظى ودع الذ ... ل ولو كان فى جنان الخلود
أنا فى أمة تداركها الله ... غريب كصالح فى ثمود

وكذلك عندما يقرأ قوله :

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ... ويجهل علمى أنه بِىَ جاهل
ويجهل أنى مالك الأرض مُعسرٌ ... وأنى على ظهر السماكين راجل
تحقر عندى همتى كلَّ مطلب ... ويقصر فى عينى المدى المتطاول
غثاثة عيشى أن تغث كرامتى ... وليس بغث أن تغث المآكل

والبيت الأول يدل على تفكير طويل فى أنواع جهل النفوس بالنفوس، وهو موضوع عميق كعمق الحياة، ومجاهل أعماق النفس والحياة كمجاهل أعماق المحيط . وكذلك إذا قرأ أبيات المتنبي التى يخاطب بها أسد الفراديس ويدعوها فيها إلى محالفته ، سار القارىء فى رحلة نفسية خيالية فى عالم البيان الشعرى ، حيث يود الشاعر أن يؤلف الوحش وأن تألفه ، كما حدثوا عن الشنفرى الشاعر . وإذا قرأ القارىء قول المتنبي :

عدُوِّى كل شىء فيكِ حتى ... لخلت الأُكم موغرة الصدور
فلو أنى حُسدْتُ على نفيسٍ ... لجدْتُ به لذى الجد العثُورِ
ولكنى حُسِدْتُ على حياتى ... وما خير الحياة بلا سرور

كان قد بلغ من تلك الرحلة النفسية قفراً موحشاً تختلط فيه الحقيقة بالخيال فى نفس بلغت من النفرة من الناس والشك فيهم مبلغاً يجعلها تشك فى الجماد ، وتخاله موغر الصدر كالناس ، وهذه حالة حقيقية فى النفس ، وإن اختلطت فيها الحقيقة بالخيال ، وهى من الحالات النفسية التى يجيد المتنبي وصفها كما قال :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا
أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
ويختلف الرزقان والفعل واحد ... إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

ويتبع القارىء الشاعر فى رحلة التجارب النفسية حيث يقول :

فلا تنلكَ الليالى إن أيديَها ... إذا ضربن كسرْنَ النبع بالغرَب
ولا يُعِنَّ عدواً أنت قاهره ... فإنهن يصدن الصقر بالخرب
وإن سررْن بمحبوب فجعن به ... وقد أتينك فى الحالين بالعجب
وربما احتسب الإنسان غايتها ... وفاجأته بأمر غير محتسبِ
وما قضى أحد منها لبانته ... ولا انتهى أرَبٌ إلا إلى أَرَبِ

والبيت الأخير يعبر عن سر التعلق بالحياة ؛ فليس سر التعلق بها لسعادتها وكمال مسراتها ، بل قد يتعلق بها أشد التعلق من قلت مسراته فيها ، وإنما يكون الحرص عليها كلما وجد المرء سبيلاً لنشدان المطالب والمآرب حتى ولو لم يسعد بها . فالحرص على الحياة موجود ما دام المرء ينتشى فيها بالسعى والطلب ،

وإن لم يُؤدِّ السعي إلى فوز وسعادة . ويستمر القارئ متابعاً للمتنبي في رحلته النفسية في عالم التجارب وآلامها كما في القصيدة التي يقول في مطلعها : (كفى بك داء أن ترى الموت شافياً) . ويعاود وصفها في القصيدة التي مطلعها : (أود من الأيام ما لا توده) وفي القصيدة التي مطلعها : (فراق ومن فارقت غير مذمم) والتي يقول فيها :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدَّق ما يعتاده من توهم
وعادى مُحبِّيه بقول عداته   وأصبح في ليل من الشك مظلم

ويعاود وصف آلامه وآماله وخيبته وتجاربه في قصيدة : (بم التعلل لا أهل ولا وطن) . وفي قصيدة : (أغالب فيك الشوق والشوق أغلب) . وفي قصيدة : (صحب الناس قبلنا ذا الزمانا) . وهو يحس فيها بضآلة مطالب الحياة بالرغم من إقبال نفسه عليها فيقول :

ومراد النفوس أصغر من أن   نتعادى فيه وأن نتفانى
كل ما لم يكن من الصعب في الأنـ   ـفس سهل فيها إذا هو كانا
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ   فمن العجز أن تكون جبانا

وتراه يصف كيف أن نفسه قد تُقهر على التخلق بصفات الحياة من مداهنة وشك ، فيقول :

ولما صار ود الناس خبا   جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه   لعلمي أنه بعض الأنام

إلى أن يقول :

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً   كنقص القادرين على التمام

ويعود إلى وصف ما علمته الحياة من سوء الظن فيقول :

توهم القومُ أن العجز قرّبنا   وفي التوهم ما يدعو إلى التهم
ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة   بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
هوّن على بصر ما شق منظرهُ   فإنما يقظات العين كالحلم
ولا تشك إلى خلق فتُشمته   شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

ثم هو بالرغم من شكواه يعرف أن للمعالي التي ينشدها ثمناً لا بد أن يؤديه فيقول :

تريدين لقيان المعالي رخيصة   ولا بد دون الشهد من إبر النحل

ويعلم أنه من العبث أن يُعنِّي المرء نفسه وأن تُمنِّيه إذا لم تدرك ما تَمنّت فيسلي نفسه ويسلي القارئ معه بقوله :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ويعلم أن الظلم في النفوس صفة عامة إذا خفيت فإنما تخفى لسبب فيقول :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلم
والذل يظهر في الذليل مودة   وأود منه لمن يود الأرقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه   ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وهذه الحكم العديدة وأمثالها في شعر المتنبي ليست من الشعر التعليمي أو الوعظي الذي يصنعه المرء وهو ناعم البال قرير العين بارد العاطفة وهو جالس إلى مكتبه يتأمل فيما تصف به الكتب والدفاتر أوجه الحياة وأخلاق النفوس فيها ، ولكنه تأمل المختبر المجرب ، فهو شعر التأمل الذي تنزى به العاطفة لا شعر التأمل الذي ينزى به العقل في دعته أو مباذله أو عند مباهاته بالعلم ومفاخرته بالعرفان ، فهو شعر حكمة يُبصِّر الشاعر فيها نفسه ويذكّرها كي تتحمل الحياة بمعرفتها الحياة ، وتتحمل الناس بمعرفتها أخلاق الناس . ومن كان شديد الاعتداد بالنفس والاعتزاز بها كالمتنبي كان في حاجة إلى هذه التبصرة والتذكرة بسبب ما يجشم الشاعر نفسه من معاناة الحياة والناس معاناة فوق معاناة القنوع التي لا بد منها . فهذا الاعتداد بالنفس بما يفيض به من حنكة وخبرة وأنغام وبيان وآلام وآمال ، هو سر نبوغ المتنبي وسر شهرته وتعلق الناس بشعره كما ذكرنا ، وهو سر قوة شعره . وهذه القوة هي فيض يغمر كل باب من أبواب شعره من مدح أو وصف أو عتاب أو رثاء . ومن أجل ذلك تبدو حكمة الحنكة في شعره مختلطة بالمدح أو العتاب أو الوصف أو الذم ، ففي قصيدته التي يصف فيها الأسد ويقول :

في وحدة الرهبان إلا أنه   لا يعرف التحريم والتحليلا

ويستجمع كل معاني الوصف الرائعة ، إذ تراه يورد الحكمة كما في قوله :

أَنفُ الكريم من الدنيئة تارك   في عينه العدد الكثير قليلا

وفي قصيدة أخرى بينما هو يمدح الممدوح إذ تراه يقول :

إلفُ هذا الهواء أوقع في الأنـ   ـفس أن الحِمام مُرُّ المذاق

وفى قصيدة أخرى يقول :

لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل

وفى قصيدة أخرى من قصائد المدح يقول :

إنا لفى زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال

فأصبح منتهى ما يطمع فيه الطامع فى خير الناس أن يحصل على خيرهم السلبى ، أى امتناعهم عن الشر كأنما الامتناع عن العمل عمل يشكرون عليه . وكذلك يورد الحكمة فى قصائد المدح الأخرى مثل قصيدة (لكل امرئ من دهره ما تعودا) التى يقول فيها :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وكذلك يصنع فى قصيدة (على قدر أهل العزم تأتى العزائم) وقصيدة (الرأى قبل شجاعة الشجعان) . فقيمة مدحه ليست فى المغالاة المرذولة كما فى بعض قوله وإن اشتهر بها، ولكن قيمته فيما يخالطه من حنكة وخبرة إما بالأخلاق والحياة عامة، وإما بالصفات المرغوب فيها التى يود كل ممدوح أن تنسب إليه . وكذلك يورد الحكمة فى قصائد الاستعطاف أو التوفيق أو العتاب كقصيدة (إن يكن صبر ذى الرزيئة فضلاً) وقصيدة (حسم الصلح ما اشتهته الأعادى) وقصيدة العتاب الرائعة الفخمة التى يعنف فيها فى عتاب سيف الدولة تارة وتارة يبلغ غاية الرقة كما فى قوله فيها :

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

ويورد الحكمة أيضاً فى قصيدة (بغيرك راعياً عبث الذئاب) فيمدح ويستعطف ويورد الحكمة ، وفيها يقول :

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العقاب

وكم ذنب مولّده دلال وكم بعد مولّده اقتراب

ويورد الحكمة أيضاً فى قصائد الرثاء والتعزية وله فيها قصائد شائعة مثل رثائه لعمة عضد الدولة ورثائه أم سيف الدولة وأخته ومملوكه يماك ورثاء المتنبى لجدته ورثائه لأبى شجاع فاتك، وفى رثاء عمة عضد الدولة يقول :

يموت راعى الضأن فى جهله ميتة جالينوس فى طبه

وربما زاد على عمره وزاد فى الأمن على سربه

وفى رثاء أم سيف الدولة يقول :

وصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال

وفى رثاء مملوك سيف الدولة يقول :

وأوفى حياة الغابرين لصاحب حياة امرىء خانته بعد مشيب

إذا استقبلت نفس الكريم مصابه

بخبث ثنت فاستدبرته بطيب

وفى رثاء جدته الرائع يصف ما لاقاه فى سبيل تجشيم نفسه عظام المساعى فتزداد لذة القارئ فى قراءته . والمتنبى إذا أراد الوصف أجاد كما فى وصف الأسد وكما فى وصف شعب بوان ونباته الذى يقول فيه وهو من أبدع الوصف :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان

ويصف الخيل كما فى قوله (وما الخيل إلا كالصديق قليلة .الخ) ويصف الحروب . وليس إقلاله من وصف مظاهر الكون والطبيعة من عجز، بل لأن بصره بصيرته كان موجهاً إلى دخائل نفسه ونفوس الناس وأخلاقهم فى الحياة أكثر مما كان موجهاً إلى مظاهر المرئيات وله فى الغزل بالرغم من ذلك أشياء تستجاد وتستحب مثل قوله :

زوّدينا من حسن وجهك مادا م فحسن الوجوه حال تحول

وصلينا نصلك فى هذه الدنـ يا فان المقام فيها قليل

وقوله :

إذا كان شم الروح أدنى إليكم فلا برحتنى روضة وقبول

ألم ير هذا الليل عينيك رؤيتى فتظهر فيه رقة ونحول

فسحر شعر المتنبى هو سحر جاذبية الشخصية المعتدة بنفسها وسحر ما تختبر من الحياة .

ولا نعنى بسحر الاعتداد بالنفس أن الناس لا يقاومونه . هم يقاومونه بكل وسيلة فى أول الأمر ، وبعضهم يظل يقاومه حتى مع التأثر به . بل إن بعضهم تدل شدة مقاومتهم له على شدة التأثر به . ففى بعض سجايا النفوس قد يظهر التأثر بالإنسان ، أو بالشىء بمظهر المقاومة . ولعل أظهر هذه الظاهرة فى العلاقات الزوجية ، ولكنها موجودة فى جميع علاقات الناس بعضهم ببعض ،

وقد لا تكون المقاومة دليلاً على التأثر . بل قد تكون دليلاً على قلة التأثر أو انتفائه . ولعل الظاهرة أساسها واحد فى الحالتين ، وأساسها هو : دفاع كل نفس فى الحياة عن كيانها ومميزاتها وخصائصها ؛ وكلما كان تأثرها بخصائص غيرها وكيانه أعظم ، كانت المقاومة ألزم فى بعض الحالات وفى بعض النفوس ، إما صيانة للبقية الباقية من استقلالها، وإما لكى تعذر نفسها لدى نفسها فى استسلامها لسحر الاعتداد بالنفس سراً بمقاومته جهراً فترتاح إلى هذا العذر وتحسب أنها قد صانت به كرامة استقلالها . ولكن إذا كان الاعتداد بالنفس عظيماً ، وكان مقروناً بقوة العبقرية أو البيان والفصاحة أو الخلابة أو العصبية المناصرة له تمكن على الزمن من تحويل الشيء الكثير من المقاومة إلى إعجاب ، كالإعجاب الذى ناله من النفوس التى ناصرته من أول الأمر بسبب لذتها فى الاستسلام أو لذتها فى رؤية اعتدادها بنفسها مقدساً فى شخص عظيم . وتغلب الاعتداد بالنفس على المقاومة يكون شبيهاً بتغلب النعاس على اليقظة . وقد لاقى المتنبى أشد المقاومة ، ولكن شدة اعتداده بنفسه تمكنت من تحويل المقاومة على مر الزمن إلى إعجاب كثير

لقد كنا فى عهد الصغر إذا قرأنا للمتنبى قوله :

من لو رآنى ماء مات من ظمأ
ولو عرضتُ له فى النوم لم ينم

تخيلناه مخلوقاً من مخلوقات الخيال فى القصص الخرافية . ونخره العريض فى هذا البيت وفى أمثاله كان من خواطر العظمة التى رآها لنفسه ، ولكنا لم نشأ أن نعد كل أقواله فى القتال وإراقة الدماء من قبيل خواطر السوء التى تمر بخاطر كل إنسان ، لأن الرجل كان محارباً فعّالاً كما كان متخيلاً قوّالاً . وإذا صدقت قصة مقتله التى قيل فيها إنه فر طالباً النجاة ممن أغاروا عليه حتى ذكَّره مذكِّر بقوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وذكره بأن من يقول هذا القول لا بد أن يكون فعله كقوله ، فعاد للقتال حتى قُتل

أقول إذا صدقت هذه القصة : كان الاعتداد بالنفس الذى قتله ، هو الاعتداد بالنفس الذى خلد عظمته وزادها . وهو أيضاً كذلك وإن لم تصدق هذه القصة

عبد الرحمن شكرى

من برجنا العاجى

إنى أتجنب دائماً رؤية خروف العيد حياً قبل العيد ، وأتحاشى أن أدنو منه أو ألاطفه أو أعقد بينى وبينه أواصر صحبة أو مودة ، خشية أن تمضى ساعات فإذا هو أمامى مشوياً فى طبق ، ينظر إلىّ بعينين يسيل منهما الدهن والزبد ، نظرات كلها ازدراء لما تكشف له من خلقنا الإنسانى المنطوى على الخيانة والغدر ! إنى أتخيل دائماً معانى هذه النظرات الهادئة العميقة التى تنبعث من عيون هذه الحيوانات الوادعة الأليفة . إنها لأبلغ فى إنسانيتها أحياناً من بعض نظراتنا الآدمية التى يشع منها بريق جشع حيوانى ونهم مفترس قد لا تعرفه غير الضوارى والكواسر !

إنى لأتخيل الحديث الذى يمكن أن يدور بينى وبين هذا الخروف لو أنه منح القدرة على الكلام :

— لماذا صنعتم بى هذا ؟

— لمجدك الأبدى

— مجدى الأبدى ! هذا الذبح والسلخ والحرق مرة فى كل عام على مدى الدهور والأيام !

— نعم ، هو مجدك الذى ينبغى أن تتيه به وتفخر وتزهى على غيرك من الحيوان ! إن دمك يراق من أجل فكرة ، وحياتك تضحى فى سبيل عقيدة !

— آه للإنسان ما أبرعه فى إلباس صغير الفعال رائع الثياب !

— نعم ، هنا مفتاح سمونا وسر عظمتنا !

— هنا الفرق بيننا وبينكم

— نعم ، كل الفرق

— إن الغرائز السفلى ما زالت هى الناموس الأعظم لنا ولكم . ولم تستطيعوا مع قدرتكم وقوتكم أن تخرجوا عن نطاقها قيد أنملة ...

— ولن نخرج

— إنما كل عملكم أن تضعوا على حقائقها العارية رداء ، كما وضعتم على أجسامكم العارية لباساً . نحن العارون جسداً وروحاً ، وأنتم الكاسون جسداً وروحاً . أما بعد ذلك فلا اختلاف بيننا وبينكم .

— هذا صحيح يا سيدى الخروف !

توفيق الحكيم

دراســات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

تاريخ كلمة أدب

لا نجد « كلمة أدب » فيما بين أيدينا من الكلام المأثور عن الجاهليين ؛ ولكن ورودها فيما أُثِر عن الرسول (صلوات الله عليه) وعن الصحابة يرجح أنها كانت مستعملة قبل الإسلام فى المعانى التى دلت عليها فى عهد الرسالة أو فى معان قريبة منها

ولدينا روايات من صدر الإسلام منها :

١ — أن علياً رضى الله عنه قال للرسول : يا رسول الله : نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، ورُبيت فى بنى سعد »[1] والتأديب هنا معناه التعليم

٢ — ورد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « إن هـذا القرآن مأدبة الله فى الأرض فتعلموا من مأدبته » ، والمأدبة هنا موضع الأدب أى الكتاب الجامع ما يؤدب به الله الناس من أوامر ونواه ومواعظ وحكم

٣ — وروى عن عبد الله بن عباس أنه قال فى تفسير الآية : «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» : فقِّهوهم وأدبوهم . وقال مُقاتل أحد التابعين فى تفسير الآية نفسها : أن يؤدب المرء نفسه وأهله فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر »[2] والأدب فى هاتين الروايتين يراد به التهذيب الذى يقرب من الخير ويبعد عن الشر

وفى العصر الأموى نجد الكلمة مستعملة فى المعانى المتقدمة أو ما يقرب منها :

جاء فى شعر مُزَاحم العُقيلى وصفُ الجمل المذَلّلُ بالأدب قال:

فهن يَصرفنَ النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المذلل

وجاء فى خطبة زياد البتراء :

« فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدِّبون لكم. أما والله لأؤدِّبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمُنّ »

(١) بنو سعد : قبيلة من هوازن تنسب إليها حليمة السعدية مرضعة الرسول
(٢) الرسالة القشيرية : باب الأدب ، تفسير الفخر الرازى

وقال بعض الفزاريين من شعراء الحماسة :

أكْنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقِّبه والسوأة اللقبا
كذاك أُدِّبت حتى صار من خلقى أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

واتخذ الخلفاء والكبراء فى العصر الأموى فما بعده معلمين يؤدبون أولادهم فكانوا يسمون « المؤدِّبين » وكانوا يؤدبون برواية الكلام البليغ الداعى إلى المكارم ، الحافز إلى العظائم . وقد روى عن عبد الملك بن مروان أنه قال لمؤدِّب ولده : وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا[1]

وفى عيون الأخبار أن عمر بن عبد العزيز قال لمؤدبه : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تؤدبنى ؟ قال : أحسن طاعة ، قال : فأطعنى الآن كما كنت أطيعك[2]

وكان المؤدبون ، حين يروون القصائد والخطب والأمثال ، يذكرون طرفاً من أخبار أصحابها و نُبذاً من الواقعات التى قيلت فيها فاستعمل الأدب فى الشعر والنثر وما يتصل به من أخبار ونوادر ، وفشا هـذا العرف على مر العصور ، وسُمِّى من يروى الأدب وأخباره ويعلمه أديباً

وامتاز الأديب من الشاعر والكاتب . فإذا غلب على الرجل درس الأدب وتعليمه فهو أديب ، وإذا غلب عليه إنشاء الشعر فهو شاعر ، وإذا غلب عليه إنشاء النثر فهو كاتب . وربما جمع الرجل هذه الألقاب الثلاثة أو اثنين منها

وأطلقت كلمة « الأدب » منذ تلك العصور على المعنيين : المعنى الخلقى والمعنى الكلامى ؛ أعنى حسن الخلق والمعاملة والكلام البليغ وما يتصل به من أخبار . وقد ذكر هذين المعنيين ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « أدب الكاتب » إذ قال : « ونحن نستحب لمن قبل عنا أو ائتم بكتبنا أن يؤدِّب نفسه قبل أن يؤدِّب لسانه ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه » ، وقيل لهـذين المعنيين من بعد « أدب النفس وأدب الدرس »

فأما أدب النفس فقد توسعوا فيه حتى شمل كل طريقة مستحسنة فى علم أو عمل ، وألِّفت كتب باسم أدب القاضى وأدب المفتى ، وأدب القراءة ، وأدب المحدث ، وأدب البحث ، وأدب المتعلم ،

(١) كتاب نقد النثر س ٧٠ وعيون الأخبار ج ٢ ص ١٦٧
(٢) ج ١ س ٢٠١ ، وانظر وصايا المعلمين فى ج ٢

وأدب المريد ، وأدب النديم ، وأدب الدنيا والدين ونحو ذلك(١)

وأما أدب الدرس فقد وسعوه كذلك حتى شمل علوماً عُدّة سميت علوم الأدب أو علم الأدب ، وأحياناً يسمونها الأدب اختصاراً

علم الأدب

لم يكن بد لدارسي الشعر والنثر من معرفة قوانين العربية التي تعصم ألسنتهم من الخطأ ؛ فكان كل متأدب يتعلم النحو وكل مؤدب يعلّمه إلى ما يعلّم من الأدب. فغدا النحو من وسائل الأدب ، واختلط به . وكذلك علوم العربية الأخرى كلما وضع علم جعل من وسائل الأدب ووصل به . فاتصل بالأدب الصرف والنحو والعروض وفنون البلاغة وعلوم أخرى ، وسميت كلها علوم الأدب أو علم الأدب أو الأدب(٢)

وأراد الباحثون في الأدب بهذا المعنى أن يحدوه حدًّا واضحاً يبين ما يدخل فيه وما يخرج عنه فعرفوه تعريفات متقاربة ؛ منها :

١ — علم يُحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظاً وخطّاً

٢ — علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة

٣— حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف

وحصروا العلوم التي تدخل في هذه التعريفات فجعلوا علوم الأدب ثمانية ، ثم زادوها إلى اثنى عشر ، عدّها ابن الأنباري في طبقات الأدباء ثمانية : اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والعروض والقوافي ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم . ثم قال : « وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعناهما وهما علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو الخ »

وقسمها الشريف الجرجاني تقسيماً منطقيًّا إلى اثنى عشر :

قال في مقدمة شرح المفتاح : « إن علم العربية المسمى بعلم الأدب علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابة . وينقسم — على ما صرحوا به — اثنى عشر قسماً ؛ منها أصول هي العمدة في ذلك الاحتراز ومنها فروع »

ثم بين أن الأصول هي : اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان (والبديع تابع لها) والعروض والقافية

وأن الفروع هي : الخط ، وقرض الشعر ، وإنشاء النثر ، والمحاضرات (ومنه التاريخ)(١)

وقال ابن خلدون في فصل علم الأدب من المقدمة :

وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه . وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه

---

(١) وهذه أمثلة مرتبة على التاريخ :
١ — الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع المتوفى سنة ١٤٢
٢ — باب الأدب في كتاب البخاري المتوفى سنة ٢٥٦
٣ — أدب القاضي للامام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢
٤ — أدب القراءة لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦
٥ — باب الأدب في ديوان الحماسة لأبي تمام المتوفى سنة ٢٣١
٦ — أدب النفس لأبي العباس السرخسي المتوفى سنة ٢٨٦ ، ألفه للمعتضد بالله العباسي
٧ — أدب النديم لكشاجم الشاعر المتوفى سنة ٣٥٠
٨ — أدب الدنيا والدين للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠
٩ — آداب الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي النيسابوري المتوفى سنة ٤٤٥

(٢) ومن شواهد هذا أن ابن الأنباري في كتابه « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » ترجم للنحويين والأدباء معا . وقال في ترجمة هشام بن محمد الكلبي :

« وأما هشام بن محمد بن السائب الكلبي فانه كان عالما بالنسب وهو أحد علوم الأدب ؛ فلهذا ذكرناه في جملة الأدباء »

وقال ياقوت في مقدمة معجم الأدباء :

« وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والأخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف في الأدب تصنيفا أو جمع في فنه تأليفا »

وألف أبو يعقوب السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ كتابه « مفتاح العلوم » وقال في مقدمته : « وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام : القسم الأول في علم الصرف ، القسم الثاني في علم النحو ، القسم الثالث في علمي المعاني والبيان » وعد هذه العلوم من الأدب إذ قال في المقدمة نفسها : « وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون (نوع اللغة) ما رأيته لا بد منه وهي عدة أنواع متآخذة » ثم بين أن علم الاشتقاق تمام الصرف وأن المعاني والبيان يحتاجان إلى العروض والقافية

(١) بين الجرجاني طريقة التقسيم في قوله :

« أما الأصول فالبحث فيها إما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها فعلم اللغة ، أو من حيث صورها وهيئاتها فعلم الصرف ، أو من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالأصالة والفرعية فعلم الاشتقاق . وإما عن المركبات على الاطلاق فأما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو ، أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى فعلم المعاني ، أو باعتبار كيفية تلك الافادة في مراتب الوضوح فعلم البيان . وإما عن المركبات الموزونة فأما من حيث وزنها فعلم العروض ، أو من حيث أواخر أبياتها فعلم القافية

« وأما الفروع فالبحث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط ، أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر ، أو منثور فعلم إنشاء النثر من الخطب والرسائل ، أو لا يختص بشيء منها فعلم المحاضرات ومنه التاريخ »

وقد أثر تعميم « الآداب » وإطلاقها على معارف أخرى فى قول الحسن ابن سهل :

« الآداب عشرة : فثلاثة شهرجانية ، وثلاثة أنوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أربت عليهن . فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج . وأما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية . وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس . وأما الواحدة التى أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم فى المجالس [1] »

وجاء فى إحدى رسائل الجاحظ : « إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين فى الحكمة ذكروا أن أصول الآداب التى يتفرع منها العلم لذوى الألباب أربعة : فمنها النجوم وأبراجها وحسابها ، ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير ، ومنها الكيمياء والطب وما يتشعب من ذلك ، ومنها اللحون ومعرفة أجزائها ومخارجها وأوزانها »

وجاء فى رسالة إخوان الصفاء :

« إعلم يا أخى أن العلوم التى يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس منها الرياضة ومنها الشرعية الوضعية ومنها الفلسفة الحقيقية .

فالرياضة هى علم الآداب التى وضع أكثرها بطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا ، وهى تسعة أنواع : أولها علم الكتابة والقراءة ؛ ومنها علم اللغة والنحو ، ومنها علم الحساب والمعاملات ومنها علم الشعر والعروض ؛ ومنها علم الزجر والفأل وما يشاكله؛ ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما يشاكلها؛ ومنها علم الحرف والصنائع ؛ ومنها علم البيع والشراء والتجارات والحرث والنسل ؛ ومنها علم السير والأخبار » [2] ففى كلام ابن سهل والجاحظ واخوان الصفاء علوم سميت آداباً وليست من علوم الأدب المصطلح عليها .

ويشعر بهذا التعميم قول الجرجانى فى كتاب التعريفات :

« الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ »

وقد يسر هذا التعميم حاجة الأديب إلى سعة المعارف والأخذ من كل فن بطرف (كما قالوا) وكذلك أدى إلى هذا التعميم تولى الكتاب من الأدباء الوزارة ودواوين الدولة وحاجتهم إلى معرفة كل ما تصرفه الدول من السياسات وما يتصل بأعمالها من المعارف.

ومن شواهد هذا أن كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » ضمن خلاصة المعارف التى كانت فى عصره .

ومؤلفو الأدب فى عصرنا يقسمون الأدب قسمين : الأدب بالمعنى الخاص وهو الشعر والنثر ، والأدب بالمعنى العام وهو كل ما أدركته أمة من المعارف . فيقال مثلاً أدب العرب لما أثر عنهم من نظم ونثر . ويقال أدب العرب أو آداب العرب لكل ما أثر عن الأمة العربية من آداب وعلوم .

وإنما دعا مؤلفينا إلى هذا أنهم قابلوا بكلمة أدب الكلمة الأفرنجية Litterature وهى تدل على كل ما تسجله لغة فى عصورها كلها أو بعضها وتخص أحياناً بما يسمى عندهم Belles lettres أى الكتابة الجميلة وهى الكلام البليغ من الشعر والنثر . فلما ترجم كتابنا Litterature فى معناها الخاص بكلمة أدب ، وهى ترجمة صحيحة ، ترجموها فى معناها العام بكلمة أدب ، وهى ترجمة تحمل الكلمة العربية أكثر مما شاع استعمالها فيه على مر العصور .

ولو استعملت كلمة « معارف » فى هذا المعنى العام لكان أقرب إلى الوضع اللغوى وأبعد عن اللبس .

وكان من الترجمة عن اللغات الأوربية أيضاً أن سمينا « كلية الآداب » ترجمة للتسمية الفرنسية Faculté des lettres ويقابلها بالانكليزية Faculty of arts فأطلقنا الآداب على اللغات وآدابها والفلسفة والجغرافيا والتاريخ وجعلنا كلمة « آداب » مقابلة لكلمة علوم التى ترجمنا بها كلمة Sciences

عبد الوهاب عزام



(١) منقول من كتاب (فى أصول الأدب) للأستاذ الزيات

(٢) زهر الآداب ج ١ ص ١٥٩

على الشاطئ الحبيب

«مهداة إلى الصديق الدكتور أحمد موسى»

للأستاذ محمود الخفيف



على شاطئ النيل (تصوير الدكتور أحمد موسى)

كَمْ تَوَقَّفْتُ عِنْدَ شَطِّكَ حِينا
فَمَلأْتَ الفؤادَ شِعْرًا وَسِحْرًا
تَتَمَلَّى العُيونُ مِنْكَ جبيناً
من جبين الصباح أَسْطَعُ فَجْرًا
أَنتَ أَشهَى طَلَاقَةً وسُكُوناً
وانهلالاً وأَنتَ أَجملُ بِشرا

* * *

إِنَّ هذا السكونَ يَغمُرُ نَفْسى
من لِقَلْبِي بِرُقْيةٍ من سُكُونِكْ
مَنْ لروحى بِنَشْوَةِ المُتَحَسِّى
من صَفَاءٍ تذيعُهُ فى فُتُونِكْ
ما لهذا الصَّفَاءِ يُغرِقُ حِسِّى
ما أراه إلا أَرَقَّ لُحُونِكْ !

* * *

يا شِرَاعًا لا تَنْثَنِي عَنْهُ عَيْنِي
كيفَ يَسْهُو عن سِحْرِهِ مَنْ يَرَاهْ؟
نَامَتْ الفُلْكُ فى سَلَامٍ وَأَمْن
وسَبَى النِّيلَ حُسْنُهَا وَازْدَهَاهْ
فَجَلَاهَا لِلعَيْنِ فِي صُورَتَيْنِ
يا لَحُسْنٍ تَهُزُّنِي صُورَتَاهْ !
رَاعَنِي ظِلُّهُ وَيَارُبَّ لَحْنٍ
عَبْقَرِيٍّ يَرِقُّ عَنْهُ صَدَاهْ !
دَقَّ فى حُسْنِهِ فَقَصَّرَ فَنِّي
وَبَيَانِي وَفَاتَ جُهْدِي مَدَاهْ

* * *

مَنْظَرٌ تَرْكَنُ النُّفُوسُ إِلَيْهِ
يَغْرَقُ الهَمُّ فِي سَنَى رَيْعَانِهْ
يَهْتِفُ القَلْبُ بِالجَمالِ لَدَيْهِ
وَيَفِيضُ الشَّجِيُّ مِنْ تَحْنَانِهْ
لَمَحَاتُ الجَمَالِ فِي إِبَّانِهْ
تَسْكَرُ الرُّوحُ إِذْ تَرِفُّ عَلَيْهِ
فَتَوَلَّي ، فَرَاقَ فِي نَاظِرَيْهِ
بِالسُّلَافِ الشَّهِيِّ مِنْ لَمَعَانِهْ
مَا جَلَاهُ الخَيَالُ بَعْدَ أَوَانِهْ !
يَا لَعَانٍ تَنَازَعَتْ أَصْغَرَيْهِ
كُلُّ حُسْنٍ يَرِفُّ فِي مُقْلَتَيْهِ
فَهْوَ مَا عَاشَ فِي قَرَارِ جَنَانِهْ
هَكَذَا وَشْيُهُ وَسِحْرُ يديه
خَلَجَاتُ الجَمالِ من وجدانه

* * *

قِفْ عَلَى الشَّطِّ سَاعَةً وَتَأَمَّلْ
منظرَ النيلِ فِي سكونِ المساءِ
اجْتَلِ الحُسْنَ مِلْءَ عينيك وانْهَلْ
من صَفَاءٍ يُنسِيكَ كُلَّ صَفَاءِ

* * *

إِيه يا نيلُ كَمْ يطوف بِقَلْبِي
عِنْدَ مرآكَ من بَهِيِّ المَعَانِي
إن كبا الشِّعْرُ دونَهُنَّ فَحَسْبِي
أن أرانِي مُسَبِّحًا من بيانى

* * *

إيه يا نيلُ كَمْ بَنَيْتَ حَيَاةً
وَصَحِبْتَ الزَّمَانَ فِي خَطَرَاتك
قَدْ نَبَتْنَا على ثَرَاكَ نباتا
وطَعِمْنَا الجَنِيَّ مِنْ ثمراتِكْ
لا ترى الأرضُ ما حَلَلْتَ مواتا
إذ تسير الحياةُ فى خُطُوَاتك
أَنْتَ أَجْرَيْتَهُ شَهِيًّا فُرَاتَا
كُلُّ حَيٍّ أَنْفَاسُهُ مِنْ فُرَاتِك !
يا أخا الدَّهْرِ كَمْ وَلَدْتَ بُنَاةً
مَنْ عَلَى الأَرْضِ سَابِقٌ لِبُنَاتِكْ؟
إن تكن قَدْ عَدِمْتَ حيناً رواةً
إن هذا الترابَ خَيْرُ رُوَاتِكْ
بِشْرُ واديك يقظةً وَسُبَاتاً
أى شَيْءٍ أحلى لَهُ من سباتك ؟

الخفيف

أعلام الأدب

هوميروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذى الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

لزمت هوميروس أعواماً ثلاثة أدرسه وأترجه وألخصه فما ضقت به ، بل ازددت له حباً وبه إعجاباً . وكنت كلما تركته فترةً أحسست شوقاً عجيباً إلى أدبه يجذبني ويلح على فأعود إليه فيخيل إلى أنه قد شرع يغنى لى ويطلعنى على صور غريبة رائعة من فنه الجميل لم أكن قد ظفرت بها من قبل، فأكب عليه عوداً على بدء ، لأطوى الأحقاب الطويلة الماضية ، ولأجلس فى شرفة الزمان فأطل على أخيل وأجاممنون ونسطور وأجاكس وديوميدز وأوديسيوس فى جانب المسرح ، وعلى بريام وباريس وأندروماك وهيلين فى الجانب الآخر ، وبينهما ذاك الضجيج وذاك النقع ، ومن حولهما آلهة الأولمب يشتركون فى الوغى ينصرون أو يخذلون ما أجمل هوميروس !

لقد اختلف المؤرخون فيه اختلافاً شديداً ، لكن اختلافهم لا قيمة له مادامت الإلياذة والأوديسة ، وما دمنا لا نجد بداً من أن نعترف لهما بمؤلف استطاع أن يسجل شخصيته فى كلتيهما وأن يطبعهما بطابعه الخاص.. فلم لا يكون هذا المؤلف هوميروس ؟ وإن لم يكن هو مؤلفهما فماذا يضير الأدب إذا سمينا هذا المؤلف هوميروس ؟ وهؤلاء المؤرخون الذين ينكرونه بغير حجة ولا برهان إلا أنهم يستكثرون على عقل بشرى واحد هذا الإنتاج الضخم والمحصول الكبير الذى يكوّن أدب أمة ، والذى نهل منه شعراؤها وشعراء الأمم الأخرى فى كل زمان ومكان ، وما زالون ينهلون .. هؤلاء المنكرون لهوميروس لم لا يصدقون هيرودوتس الذى هو أبو التاريخ والذى ذكر أن بينه وبين هوميروس أربعمائة سنة ؟ ألا يكون التواتر صحيحاً فى أربعة قرون ويكون صحيحاً فى عشراتها ؟ إن تاريخ هيرودوتس هو أصدق ما وصلنا من التاريخ القديم ، وقد ذكر لنا هوميروس وذكر ملحمتيه ، بل حدد يوم وفاته ، وقد سمع المنشدين فى كل فج من اليونان يرددون بالتواتر أغاريده من الإلياذة ومن الأوديسة ومن غير الألياذة والأوديسة ، وكان هيرودوتس خبيراً بأدب بلاده وبتاريخ هذا الأدب ، وكان يعرف أن الإلياذة والأوديسة لم تكونا معروفتين بحالهما الذى تواتره الناس عن هوميروس ، قبل هوميروس ... حقاً لقد كانت الأساطير التى حشدها هوميروس فى ملحمتيه معروفة قبله بأجيال ، لكنه كان أول من نظمها فى هذا العقد الجميل الرائع الذى قبس منه إسخيلوس وسوفوكلس ، والذى حام حوله يوربيدز والذى ظل مورداً لجميع شعراء الكلاسيك من غير استثناء

لقد كتب هيرودوتس تاريخه فى زمن استقرار الحضارة اليونانية ونضوجها ... ونحن نلمح فى تاريخه روح النقد والتمحيص ، والبحث والتحقيق ، فهو إذا روى لم يثبت إلا ما يراه متفقاً عليه من الناس ، فإذا رآهم يتفقون على شىء لا يطمئن إليه ضميره لم يبال أن يقول بعد إثبات ما اتفقوا عليه : أما رأيى فهو كيت ، أو أنا أعتقد كذا ... ولم يكن يبالى كذلك أن يدلى برأيه فى الآلهة ، فقد صرح أنه لا يدرى من أين نشأوا ، وأن شيئاً عن ذواتهم لم يكن معروفاً إلى زمنه ... وذهب إلى أبعد من هذا فقرر أنهم جميعاً من صنع هوميروس وهسيود اللذين وضعا للإغريق ذلك الثبت الطويل من الآلهة وأنصاف الآلهة ثم راحا يوزعان عليهم ذلك الاختصاص العجيب من مقاليد البر والبحر والأفلاك والهواء والنور والظلمة والحكمة والفنون ... وقد رفض ما ذهب إليه الشعراء من أن هذا التوزيع وذاك اللاهوت بطقوسه التى تعارفها الناس كانا موجودين قبل هوميروس وهسيود . . . وأكد أن الميثولوجيا اليونانية كلها لم تعرف إلا بعدهما...

وإذا كان هيرودوتس قد ولد سنة ٤٨٤ قبل الميلاد ، فليس يبعد أن يكون هوميروس قد ولد سنة ٨٨٤ أو حوالى ذلك ... أو أنه قد عاش بالفعل فى القرنين التاسع والثامن ... أما ما قيل غير ذلك فلم تقم على إثباته حجة ، ولم يؤيده برهان

وتتنازع فخر مولده مدائن شتى. على أن الذى حققه المؤرخون ويؤيده ما جاء فى ترتيلة أبولو أنه من مدينة خيوس الواقعة فى الشاطئ الشرقى من الجزيرة المسماة باسمها والقريبة من مدينة أزمير ، وهو لهذا إيونيوى (من إيونيا) بدليل أن أقدم نسختين من الإلياذة والأوديسة مكتوبتان بلغة إيونيا

ويختلف المؤرخون فى اسمه وفى معناه ، فيذكرون له أسماء معقدة لا داعى لذكرها هنا ... ثم يفسرون اسمه فيقولون إنه يعنى (أعمى) وإلى ذلك ذهب هيرودوتس وهو يعلل ذلك بأن الاسم (هوميروس) مركب من هو — مى — أورون — ومعناها : الرجل الأعمى . ويتعصب هيرودوتس لهذا التأويل بالرغم من وجود تفاسير أخر قد تكون أقرب إلى المعقول من تفسيره هو ... ذلك أن بعض القدماء يقولون : إن كلمة هوميروس قد تكون مشتقة من (هوميريدا) . وهى اسم لإحدى العشائر التى كانت تقطن جزيرة خيوس آنفة الذكر ، وقد قطنوها برغمهم لأنهم كانوا أسرى حرب (رهائن) نفوا إلى تلك الجهة . وذلك بدليل أن كلمة هوميروس نفسها تحمل معنى أسير تحت الفدية أى رهينة حرب

ولم يضمن هوميروس إحدى ملحمتيه الخالدتين اسمه كما صنع هسيود فى منظومته العظيمة (ميلاد الآلهة وتناسلهم) Theogony فقد ذكر فى مقدمتها اسمه الصريح . ثم ذكر فى قصيدته الأخرى (الأرجا Erga) كيف هاجر من كيمى إلى أسكرا ، وكثيراً من حياته الخاصة وحياة أهله . ولو قد صنع هوميروس مثل هذا ، أو شيئاً من هذا لما وقع المؤرخون فى هذا الخلط الكثير عن شخصه وعن زمانه وعن حقيقته .

ولم يشر قط إلى السبب الذى ذهب ببصره ؛ ويؤكد المؤرخون أنه قضى شطراً عظيماً من عمره بصيراً سليم العينين بحيث استطاع أن يقرأ ويكتب ويسجل كثيراً مما نظم . ويذهب بعضهم إلى أنه بدأ نظم ملحمتيه — أو إحداهما — وهو بصير معافى

وكل ما جاء فى ذلك لا يعدو إشارة طارئة فى آخر ترتيلة أبولو يخاطب فيها العذارى اللائى كن يصغين إلى إنشاده : « إذا سألهن أيما ظاعن أى المنشدين أحب إليهن وآثر إلى قلوبهن أن يجبن على الفور إنه رجل أعمى من قطان خيوس الجبوب المزاء(١) وإن أغانيه سيخلدن آخر الزمان ! »

وحتى هذه الفقرة لم تسلم من تشكك المؤرخين فى قائلها ، هل هو راوية هوميروس ، أو هو هوميروس نفسه !

هذا ولقد كان للاغريق أدبهم وأشعارهم وأغانيهم وموسيقاهم قبل هوميروس . وليس معقولاً أن هوميروس هو الذى بدأ ذلك جميعاً ، لأن ذاك الكمال أو ما يقرب من الكمال الذى جاء فى ملحمتيه لا يمكن أن يأتى طفرة ... وإذا صدقنا هيرودوتس يكون هوميروس صاحب فضلين عظيمين على سكان هيلاس — اليونان — كافة ... فهو الذى صنع آلهتهم وأنشأ بذلك لاهوتهم الوثنى العجيب ، ووزع ما فى الحياتين الأولى والآخرة على هذه الآلهة وتلكم الأرباب ... ثم هو الذى بدأ نظم الملاحم الطوال ودبجها هذا التدبيج المتألق البراق ، مستغلاً أساطيرهم القديمة ، وذلك الفوكلور الساذج الذى يفيض به تاريخهم القديم

والثابت أن هوميروس لم ينظم الإلياذة والأوديسة للقراءة والاستمتاع الأدبى ، بل هو قد نظمهما للتلاوة والإنشاد فى المحافل ومجامع السمر ، إذ كان من دأب دويلات بحر إيجه استدعاء الشعراء والمنشدين والمغنين لإحياء أفراحهم وبعث المرح فى حفلاتهم . وقد حفظ لنا الأثر أسماء أورفيوس وميوزيوس ولينوس وغيرهم من شعراء عصر البطولة ومنشديه وموسيقييه . الذين سبقوا هوميروس إلى نظم الخرافات وقرض الأساطير ، متأثرين فى ذلك بقصص الشعوب السامية فى مصر والشام وأساطير الفرس والبابليين . ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من آثار هؤلاء الشعراء ، اللهم إلا نتفاً مما كان يستشهد به اللغويون ومؤلفو المراجع للتدليل على صحة كلمة أو سلامة استعمال ، وهو شىء يسير ليس فيه غناء

وقد سهلت اللغة اليونانية القديمة على شعرائها الكلاسيكيين عملهم ، وجعلت نظم الملاحم الطوال من أيسر الأعمال الأدبية وأهونها عليهم ... ذلك أنها لغة واسعة شاسعة استوعبت لهجات كثيرة لمختلف القبائل والبطون والأفخاذ الضاربة فى شطئان البحر الإيجى ، وقد تهيأ لها بذلك ما تهيأ للسان قريش من كثرة المترادفات وليونة التعبيرات وتعددها

ولم يكن نظم الملاحم للتلاوة يستدعى فنية الأسلوب أو صقله بحيث يحتاج مجهوداً أو يلتفت فيه الناظم إلى ما يلتفت إليه شعراؤنا من التهذيب والتطرية البيانية والزخرف الصناعى ... وقد يحسب قارئ أدبهم أنه من عبث أطفال كما قال قدماء المصريين مرة لصولون ... وقد كان المصريون معذورين فى قولهم هذا ، فلقد كانوا يعنون بالجد الصارم من أمور الحياة أكثر مما كانوا يلتفتون إلى هذا القريض الطويل الشعبى يهرف به الشعراء والمغنون .

والحق أن روح الطفولة شائعة فى ملاحم اليونان كلها ،

(١) الجبوب من الأرض الصلبة الغليظة والمزاء كثيرة الحجارة السود

ولم تظهر العناية القليلة بالأسلوب إلا فى شعراء الدرامة ، ثم فى شعراء الأسكندرية بعد ذلك . وهذه الروح واضحة فى هوميروس وضوحا شديدا ، فهو لا يعنى إلا بالحادثة ، وكثيرا ما يتحاشى (الرتوش) والتهاويل المملة والزخارف اللغوية التى لا تتهيأ إلا فى الأثر الأدبى الذى يؤلف للقراءة لا للإنشاد أو للتمثيل . وهو لهذا يحصر انتباه سامعيه فى صميم القصة ، وقل أن يشرد بهم خارجها كما يصنع شعراء الرومانتيك . وقل كذلك أن يستعمل الأصباغ لتطرية بيانه كيما يسترفيه ضعفاً أو يعوض السامع بفخامة العبارة تفاهة الموضوع ، فهو دائماً يلتزم الروح ولا يلتفت إلى دمام [1] الجسم إلا بقدر ، وإلا فى حدود النظم الذى أخذ به نفسه فى الملحمة .

وفى ذلك يقول الأستاذ بورا : « إنه يكتب — أو ينظم — لكل الناس وليس لطبقة بعينها من الناس »

وقد ساعد هوميروس تقلبه فى البلاد فى هضم اللهجات المختلفة فى الأصقاع المتدانية اليوم — المتنائية يومئذ — التى زارها . ويحسب أنه من أجل ذلك تنازعت فخر مولده هـذه المدائن السبع التى فعلت ذلك ، فقد كان يقيم حقبة بكل منها فينشد إلياذته — ولما يكن قد نظم الأوديسة — ويغنيها بلهجة الجهة التى هو مقيم فيها فيتقن إنشادها بهذه اللهجة إتقاناً لا يدع أثارة من الشك فى أنه من أهلها ... وهنا ملاحظة طريفة انتبه إليها كل من برتون راسكو الأديب الناقد الأمريكى وجلبرت مورى — المؤرخ الثقة فى الأدب اليونانى — ذلك أنه لا بد أن يكون هوميروس قد نظم الإلياذة مرتين .. تُتلى إحداها فى بلدان الشاطئ الأسيوى وفيها يُغَـلِّب أبطال طروادة على أبطال هيلاس .. وتُتلى الأخرى فى بلدان هيلاس ، وفيها يُغَـلِّب أبطال هيلاس على أبطال طروادة ويُظفرهم بهم . . . وبغـير هذا لم يكن يستطيع أن ينشد إلياذةً واحدة فى كلا الشاطئين . ولو صح أنه فعل لثار به الأهلون بفعل العصبية ولمزقوه إرْباً . . . لأنه كيف يترك أخيلا مثلاً يقتل هكتور وهو ينشد هذا الشعر لأحلاف هكتور وأهله . . . وكيف يسيغ أن يترك هكتور يقتل أخيلا إذا كان الإنشاد للملأ من مواطنى أخيل ؟

• غير أن هذه الملاحظة ما تزال تفتقر إلى ما يثبتها ، لأن الإلياذة التى بأيدينا هى التى كانت تنشد وتغنى فى هيلاس

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

(١) الدمام : التواليت

لو كان ... لـكان ...

للشاعرة ايلا هويلر ولككس

بقلم السيدة الفاضلة « الزهرة »

إننا نكون فى الحالة التى نستطيع بلوغها فلا تقولوا :
لو لم يكن كيت وكيت ، لـكان تحقق لنا هذا الأمر أو ذاك
فليس فى تصاريف الحوادث والحظوظ والعوارض ما يمكن
أن يثنينا عن النهج الذى اختارته لنا القدرة العلية
ولا يقدر على جلائل المدارك ومعالى الأمور إلا كل ذى همة قعساء .

إننا نؤدى الأعمال التى نرغب فى أدائها ، ونقدر على إنجازها ،
فإياكم أن تحلموا وتكتفوا بالأحلام ، فإن الفرصة تتخلى عن البطل
ولا توانيه ، وإنما تغادره حزيناً غير متوج
وإنى لأعتقد أن جميع الناس تنم عنهم ظواهرهم وتبدو سيماهم
على وجوههم ويعرفون من ثمارهم
والفعـال الحق هو الذى يستطيع أن يعمل فى حزم ، وينفذ فى جد .

إننا نختار المراقى التى نستطيع تسلقها ، فلا تحدثونى عن
القواصف الهوجاء التى صدتكم عن تسنم الذروة
وأى نسر ضل سبيله عن المرتقى الذى كان يلتمسه ولم يدرك
المصعد الذى اتخذ إليه سمته ... ؟
حقـاً إن الذى يزجم منكب الجوزاء فيتذرى الأوج دائماً ،
هو الذى يجد فى طلابه
ولشدّ ما أمقت هذه العبارة القائلة : « لو كان ... لـكان »
فإنها خلو من كل حوْل وقوة ، مشوّهة لأجل حقائق الحياة
وإنى لأعتقد أننا ننال وندرك كل ما ينبغى أن يكون أجراً
لـكدحنا وجزاء لجهادنا (الزهرة)

بيني وبين نفسي

للأستاذ علي الطنطاوي

نظرت اليوم في سجل ميلادي، فوجدتني على أبواب الثلاثين فتركت عملي وجلست أفكر. ماذا بقي لي من هذه السنين الثلاثين يا أسفي! لم يبق إلا ذكريات واهية تحتويها بقية قلب تناثرت أشلاؤه على سفوح قاسيون في دمشق، ومسارب الأعظمية في بغداد، وغابات الصنوبر في لبنان ... إي والله، وعلى طريق الأهرام في مصر، وضفاف (الشط) في البصرة، وحوائط النخيل في يثرب أشلاء من قلبي وأشلاء ... فماذا أفدت من عمري الضائع وشبابي الآفل؟ لا شيء! لا مجد ولا مال ولا بنين. لم أفد إلا اسماً مشى في البلاد تحمل قسطه من المدح والذم، والتمجيد واللعن. ولكني كنت في معزل عن هذا كله فلم ينلني منه شيء. إن اسمي ليس مني. إنه مخلوق من حروف، ولكني إنسان من لحم ودم. فهل تشبعني الشهرة، أو يكسوني الثناء؟ ولم أملك إلا قلباً أحبّ كثيراً، وأخلص طويلاً، ولكنه سقط كلماً على عتبات الحب والإخلاص، ورأساً حشوته بما وجدت من العلوم والمعارف فأثقلته علومه عن التقدم، فاحتلت مكانه الرؤوس الخفيفة الفارغة ...

فيا ليتني علمت من قبل أن الحياة مثل اللجة، يطفو فيها الفارغ ويرتفع، وينزل الممتلئ ويغوص

* * *

إني لأتصور الآن كيف كنت أنظر في طفولتي إلى أبناء الثلاثين، أولئك الشباب الكمّل الذين بلغوا قمة الحياة وعرفوا الاطمئنان والاستقرار، فأجد بيني وبينهم بوناً شاسعاً، وأرى أني لن أبلغ الثلاثين أبداً ... ذلك لأن كل ما أعلمه أني ولدت وأنا ابن أربع سنين. فأدخلت المدرسة. فكنت أعيش فيها سنة لأنجح في الامتحان، وأرتقي من صف إلى صف، وأستمتع بالعطلة. فلما أكملت دراستي العالية ولم يبق من مدرسة، ولم يبق امتحان وقفت فلم أتقدم، وفقدت غايتي فلم أعد أحس أني أعيش؟ ثم تلفتّ إلى الماضي أعيش بذكراه، فأصبحت كلما انقضى عليّ عام رجعت فيه سنة إلى الوراء، فأنا أصغر كلما كبرت، وأدنو من الطفولة كلما نأيت عنها.. فمتى أبلغ الثلاثين، وأين أحط رحالي بعد هذا المسعى؟

* * *

وغشيت قلبي غاشية من غمّ، فأشعلت عوداً من الكبريت لأوقد دخينة، وكنت في ذهلة فسرت النار في العود ثم تأججت وتوقدت، وأنا أنظر إلى اللهيب جامد العين محدقاً في عالم بعيد الغور حتى أحسست بحرارة النار في يدي، فانتبهت وألقيت العود، فإذا هو قد استحال إلى فحمة سوداء ضعيفة تطير مع النسيم ... فقلت: هذه هي الحياة. إن الألم الذي أحسسته يلذع نفسي هذه المشية كلذع النار أصبعي، سينتهي بي إلى مثل هذا المصير. سأمضي كما مضى هذا العود، ولكني لا أخلّف ورائي شيئاً. لن أدع مالاً ولا جاهاً ولا عملاً، لأني اشتغلت واحسرتي بالأدب .. ويا ليتني تفرغت بعد للأدب، ولم يستغرق حياتي الكدح للعيش ... إني لم أعمل شيئاً. إن في رأسي وقلبي شيئاً كثيراً، ولكن قلمي مكسور، ودواتي جافة، ولساني مشدود بنسعة، فأنا لا أستطيع أن أقول ...

عندي ألحان كثيرة، فأنا أحب أن أغني، ولكن الغناء يستحيل من الضيق إلى زفرات تخرج مقالات فيحسبها الناس ألحاني كلها، إلا أن ألحاني لا تزال في صدري لم يسمعها بشر. وماذا ينفعني أن يسمعها الناس فيطربوا ويصفقوا وأتفرد أنا بالخيبة والألم؟ إن الناس لا يألفون إلا الأغاني الفارغة المدوية، فلتبق أغاني العذبة في صدري، أسمعها وحدي من غير أن يتحرك بها لساني، لأن لساني مشغول بإلقاء الدرس!

كل ما أكتب زفرات متألم وإشارات أخرس، فهل يأتي اليوم الذي تنحسر فيه الزفرات عن الأغاني، والإشارات عن الألفاظ والمعاني ...؟

* * *

على أن هذه الزفرات وهذه الإشارات عزاء نفسي، فكم لهذه (الرسالة) من فضل عليّ، وكم من الفضل لهؤلاء الأدباء الذين يستطيعون أن ينقلوني من دنياي هذي الضيقة، إلى دنيا واسعة تطير روحي في أجوائها حرة طليقة! فهل يدري الزيات،

أو هل يدرى معروف الأرناؤوط ، أنى طالما أحييت الليالى الطويلة فى فرتر ورفائيل وسيد قريش وعمر بن الخطاب ، وأنى طالما لجأت إليها أقرع بابها وأتوارى وراء سورها فى جنان سحرية لا أستطيع أن أصفها بأكثر من إعلان العجز عن وصفها ؟ فأى عالم فى رأس معروف ، وأى دنيا فى صدره ؟ وأى نبل وسمو فى هذه اللغة ، لغة معروف ولغة الزيات ولغة الرافعى هذه التى تتيه بجواهرها ولآلئها على حين تمشى لغات كتاب العصر بأسمالها البالية ومزقها المخرّقة ... لغة فخمة تشعرك بالسيادة والعظمة ، لا كهذه اللغات الهزيلة العارية ...

وكم من الفضل لهيكل علىّ ، فلقد سلخت فى قراءة كتابه (منزل الوحى) أياماً كنت أعيش فيها فى عهد النبوة ، ولقد مررت بهذه البقاع التى يصفها ، وأثارت فى نفسى عوالم من الذكريات والآمال والخواطر ، فإذا أنا أجدها كلها وأجد أكثر منها فى كتاب هيكل ...

هذه هى الواحات التى لقيتها فى صحراء حياتى ، فى سفر ثلاثين سنة ، فلولا عالم لامرتين أنفذ إليه من خلال نفس الزيات ولغته البارعة ، وأسلوبه السماوى الذى أسمع غناء كلماته وهتافها فى كل جملة ، حتى كأن كل كلمة يقرنها الزيات بأختها عروس تزف إلى بعلها؛ فأنت حين تقرؤه أبداً فى عرس ، تشم عطره ، وتسمع غناءه ، وتحسّ فى نفسك طربه . ولولا معروف وعبقريته ، ولولا هؤلاء المؤلفون الذين قبست منهم السعادة والاطمئنان ، كانت حياتى صحراء قاحلة ، وما كنت أطيق الحياة . أفليس أكبر المكافأة للكاتب أن يعيش على آثاره الناس ؟

* * *

يا رحمة الله على تلك الأيام . أيام كنت أغلق فيها بابى علىّ ... ثم أقبل على كتبى أجالس فيها العلماء والأدباء ، وأجد فى حديثهم الصامت لذة ومتاعاً . كنت أقرأ لأنى كنت أجهل الحياة ، فلما عرفتها لم أعد أطيق قراءة ولا بحثاً . ولماذا أقرأ ؟ ولماذا أتعلم ؟ ولماذا أكون فاضلاً والحياة حرب على أهل العلم والفضل ، والناس كالحياة لأنهم أبناؤها وتلاميذها

ألا يحيا الكاذب المنافق سعيداً موقراً ، ويموت الصادق الشريف فقيراً محتقراً ؟ ألا يصدق الناس الشيخ المشعوذ لأنه يدخل إلى نفوسهم من باب الدين ويكذبون العالم الفاضل ؟ أليس طريق الشعبذة وادعاء الكرامات والمخرقة على الناس بعلم أسرار الحروف، واستحضار المردة، واستخراج الجنّ من أجسام بنى آدم ، آثر عند غامة الناس من العلم الصحيح والأدب المحض ؟ ألا يتمتع هذا اللص بالثقة التى لا يحلم بها عالم متخصص أو باحث مدقق ، وتنهال على يده الأموال ، وتزدحم على يده الشفاه ؟ ألا يبلغ المنافق ذو الوجهين أعلى المراتب وأسماها ويبقى الصادق الشريف فى الحضيض؟ ألا يركب الجاهل فى السيارة الفخمة ، ويسكن القصر العظيم ، ويحتل المرتبة العلمية العليا ، ويمشى العالم إلى بيته الحقير لا يدرى به أحد ؟

أليست أسواق الرذيلة عامرة دائرة ، وأسواق الفضيلة دائرة بائرة ؟

ألا يظفر الكاذب المفترى بالبرىء ؟ ألا يغلب القوى الضعيف؟ ألا ينتصر المال على العلم ؟

فلماذا أقرأ ؟ ولماذا أتعلم ؟ ولماذا أكون فاضلاً ؟

* * *

وقمت وقد صفيت حسابى مع الحياة ، فإذا أنا قد خسرت ثلاثين سنة هى زهرة عمري وربيع حياتى ولم أربح شيئاً . . .

على الطنطاوى

الأمـــل...

« إذا كانت الحياة وردة ،
فإن الأمل كأسها »

للأستاذ ابن عبد الملك

أجل يا صديق مُسّيه : الله فى السماء والأمل فى الأرض! وبين رَوْح الله المؤاسى ، ومَـدد الرجاء الآسى ، تندمل الجفون القريحة، وتلتئم القلوب الجريحة، وتنتعش الجدود العاثرة

الـكروان يموت فرخه فى المساء وفى الصباح يرقص ويصدح ، والشاة يُذبح حَمَلها فى الحظيرة وفى المروج تثغو وتمرح ، والقلب يُقطع من القلب ، والروح تُنزع من الروح ، ثم يعيش المحب بعد حبيبه ، والوالد بعد ولده ، كما يعيش النهر الناضب فى ارتقاب الفيضان ، والروض الذابل فى انتظار الربيع !



لله على الناس نعمتان لا يطيب بدونهما العيش ولا يُبلَغ إلا عليهما العمرُ : النسيان والأمل .

ماذا كان يصنع الأسى بالقلوب الوالهة إذا لم يمح النسيان من الذهن صورة الحبيب الراحل أو الهاجر؟ تأمل حالك يوم فجعك الموت فى عزيز عليك ، أما كنت تجد لهيب الحزن متصلاً يوقد صدرك من غير خُبُوّ ، ويذيب حشاك من غير هدنة ؟

تصور دوام هـذه النار على نياط القلب وأعصاب الجسد ، ثم قدر فى نفسك الحياة على هذه الصورة . على أنها والحمد لله لا تدوم ؛ فإن الجبار الذى سلط الألم على الروح ، هو الرءوف الذى سلط الزمن على الألم . فالزمن لا ينفك يسحب الأيام والليالى على الصور والآثار حتى تنطمس المَشابه، وتعفو الرسوم، ولا يبقى من المفقود إلا صورة لا تنطق ، ولا من الجرح إلا ندبة لا تحس

وماذا كان يفعل اليأس بالنفوس المكروبة إذا لم يفتح الأمل أمامها فرجة فى الأفق المطبق وفسحة من الغد المجهول ؟

يا ويلتا للفقير يعتقد أن فقره يدوم بدوام الحياة ، وللمريض يرى أن مرضه ينتهى بانتهاء الأجل ! ويا بؤسَ للحياة إذا لم يقل المأزوم والمحروم والعاجز : إذا كان فى اليوم قنوط ففى الغد رجاء ، وإذا لم تكن لى الأرض فستكون لى السماء !

ابن عبد الملك

على هامش الفلسفة

اختـــلاف الأفـكار
والنظريات الأخلاقية

للأستاذ محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

قلنا في الكلمة الأولى: إن الأخلاق تعتبر علما من العلوم إذ كانت تصل في بحوثها إلى آراء وحقائق أخلاقية تبلغ من العموم وقبول الناس لها مبلغ الحقائق العلمية. ولكن هل توجد هذه الحقائق العامة للجميع؟

مذهب الشك الأخلاقي ينكر وجود أمثال هذه الحقائق التي يقبلها الناس جميعاً: البيض والسود، والحمر والصفر؛ لأن القواعد الأخلاقية ليست إلا عادات وتقاليد تختلف باختلاف العصور والبيئات؛ وليس يعوزنا أن نجد لهذا الرأي سنداً في التاريخ.

هذا "مونتاني Montagne" الفيلسوف والأخلاقي الفرنسي المعروف، بعد أن جمع كثيراً من الآراء والأحكام الأخلاقية، يؤكد هذه النظرية بقوة حين يقول: لا يوجد شيء أكثر اختلافاً بين أمم العالم بأسرها من العادات والقوانين. كثيراً ما نجد أمراً ممقوتاً هنا ممدوحا بل موصى به هناك؛ في إسبارطه كانوا يمتدحون المهارة في الفن ويتواصون بها بينما ذلك كان محرما عند غيرهم، وقتل الآباء المعمرين إشفاقا عليهم من تحمل أعباء الحياة وتكاليفها نراه مباحا بل مأمورا به لدى بعض القبائل التي لا تزال في دياجير الظلام، وأخيرا لا يوجد أمر غير مرضي هنا إلا ويكون محمودا عند أمة أخرى[1]».

وباسكال Pascal الفيلسوف الفرنسي الذائع الصيت استعاد بعض ما أتى به "مونتاني" من مثل وحجج، وأتبع ذلك بفيض من فصاحته اللاذعة إذ يقول: « لا يوجد تقريباً شيء عادل أو غير عادل إلا ويغير من صفته تغير إقليمه؛ ثلاث درجات في الارتفاع إلى القطب تقلب رأسا على عقب كل ما عرف من عدالة. خط واحد من خطوط الزوال يتحكم في الحقيقة والحكم الخلقي — الحق له أزمانه وبيئاته، عدالة مضحكة هذه التي يحدها نهر! حقيقة أمام جبال البرينيه Pyrenées خطأ وضلال وراءها[1] »

حقيقة أن التاريخ وعلم الاجتماع ليؤكدان أن القواعد اختلفت باختلاف العصور، كما اختلفت وتختلف في العصر الواحد بحسب البيئات. الرق كان نظاماً معروفاً لدى العبرانيين والمصريين القدماء والهنود والصينيين والعرب في الجاهلية، وإن اختلفوا شدة وليناً وقسوة ورحمة في معاملة الأرقاء. كما كانت الجمعية الإنسانية في المدينة الأغريقية — التي يفخر بها الأوربيون اليوم — تقوم على استرقاق فريق من المواطنين؛ حتى إن أرسطو بجلالة قدره يبرره لاعتبارات مختلفة: منها أنه لا بد من العبيد ليتوفر الرجال الأحرار على الدراسات العقلية العالية، وأنه يوجد أناس بلغوا من السفالة والضعة أن يفهموا أنهم خلقوا للاستعباد. كما لم تمنعه الديانة المسيحية ولا الدين الإسلامي أيضاً؛ وإن لم تنبه الشريعة الإسلامية كثيرها على أن من الناس من خلقوا للذل والهون، ومن لا ترتفع بهم طبائعهم إلى مراقي الأحرار بل جعلت سببه أمراً واحداً: هو الكيد للاسلام ومحاربة الله ورسوله، ثم تدور الدائرة عليه[2].

هكذا كان الرق نظاماً معروفاً في الأزمان الماضية؛ أما في أيامنا هذه فقد صار معتبراً من أشنع المظالم الإنسانية، وغدا محرماً تحريماً باتاً.

لنترك الآن حق الحرية الشخصية وما كان فيه من اختلاف، لنلقي نظرة على حق الحرية الفكرية لنعلم ماذا كان حظه من تقدير الناس واتفاقهم عليه كحق عام يجب أن يتمتع به الجميع.

في العصور المتوسطة كان عدم التسامح الديني لدى المسيحيين مبرراً لا نكير فيه. ما كان أكثر رجال الدين الأعلام الذين كانوا يؤكدون أن الحقيقة لها كل الحقوق ومن بينها اضطهاد الضالين — في رأيهم طبعاً — بوساطة القوة! وأية حقيقة هذه التي كانوا يتكلمون عنها؟ إنها الحقيقة التي يعتقدونها، أي حقيقة كنيستهم؛ فالتعاليم التي تتعارض وتعاليم كنيستهم كلها ضلال،

(1) Challaye: Philosophie Scientifique et philosophie morale

(1) أفكار باسكال Pascal: Pensées Pascal

(2) مما يرجع إليه في هذا كتاب الرق في الاسلام الذي ألفه بالفرنسية العلامة احمد شفيق باشا وعربه المغفور له احمد زكي باشا.

كلها إلحاد، كلها جرائم موجهة ضد الارادة الإلهية فهى حرية بأشد العقاب . ها هو ذا سانت أوجستين Sant Augustin(١) مع رجاحة عقله وسمو فكره يوصى بالالتجاء للاكراه لهداية الضال حينما تعوز الحيلة ولا ينجح الإقناع(٢). وكذلك سانت توماس Sant Thomas (أبعد رجال الكنيسة الغربية ذكراً : ١٢٢٦ — ١٢٧٤) يقول فى بعض ما كتب : إذا كان المزورون والمجرمون يعاقبون عدلاً بالإعدام ، فحرى بنا أن يكون جزاء الهراطقة الخوارج عن الدين لا الحرمان الأبدى من الكنيسة فقط بل الموت الزؤام . وقد كان من أثر هذا التعصب المقوت ما يذكره تاريخ فرنسا من المذابح التى سالت فيها الدماء أنهاراً بين الكاثوليكيين ودعاة الإصلاح الذين اعتبروهم ملاحدة خرجوا على الدين .

ولسنا فى حاجة لذكر ما كان من محاكم التفتيش فى أسبانيا النصرانية، وما أنزلته بالأبرياء من عذاب لا لشىء إلا حداً من حرية الدين والفكر ، ولا لما كان من تعذيب بعض سادات قريش وغير قريش فى الجاهلية لبعض الذين هداهم الله للاسلام ليعودوا مشركين. لسنا فى حاجة لذكر هذا وأمثاله لنتبين كيف كانت عقلية الناس حتى كبار الأحلام فى تلك الأيام ! أما فى أيامنا هذه فيعتبر عدم التسامح سبة وجريمة أخلاقية مهما كان سببه ومأتاه. العقول الحرة تأباه وتجده مرذولاً ، وغالب رجال الأديان يمقتون الإكراه فى سبيل نشر ما يعتقدون « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء. لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى . فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم »

على أننا نقول إن الأمر كاد فى هـذه الناحية يعود قريباً من سيرته الأولى : أحداث تجد ، وأفكار تتغير ، وأنماط فى الحكم تستحدث فى بعض دول أوربا تقيد بل تلغى حريات الناس . فلا يفكرون إلا بقدر ، وعلى ما يهوى السادة الحكام !

ثم حقوق النساء ؛ أترى الناس كانوا فيها على اتفاق ؟ لا . إن التاريخ شاهد صدق على اختلاف الناس فيها اختلافاً كبيراً . كان الأثينيون — وهم من تعلم مدنية وحضارة فى الأزمان الماضية — يرون المرأة سلعة تباع وتشترى ، وجعلوا مهمتها فى الحياة تربية الأطفال وتنظيم البيوت . واليهود أباح بعض طوائفهم للأب بيع ابنته وهى قاصرة . وفى فرنسا قديماً بلغ من امتهان المرأة وهوانها عندهم أن عقد فى بعض الولايات الفرنسية مؤتمر عام سنة ٥٨٦ م ، أخذوا يبحثون فيه حالة المرأة ومركزها فى المجتمع ، وما إذا كانت تعد إنساناً أو غير إنسان ، وانتهى الأمر بتقرير أنها إنسان ؛ ولكن خلقت لتخدم الرجل ليس غير(١) ؛ ولا تنس ما كان من وأد بعض عرب الجاهلية بناتهم ، ومن اعتبار المرأة كالمتاع تورث عن أبيها وزوجها . والآن تغير هذا كله ، وأصبحت المرأة مساوية للرجل إلا فى بعض حقوق يرى بعض الأمم من الصالح العام عدم منحهن إياها

وإذا كانت النظريات والآراء الأخلاقية تختلف فى الأمة الواحدة باختلاف الزمن ، فهى كذلك مختلفة فى الزمن الواحد باختلاف البيئات . بينما نرى فى هذه الأيام الناس الذين هم على الفطرة كسود استراليا يعتقدون دينياً قدسية بعض أنواع من النبات والحيوان ، فيكون الموت جزاء من يجرؤ على أكل شىء منها(٢) كما نرى البراهمة فى الهند يقدسون البقرة ويعتبرون أكبر الجرائم قتلها أو الأكل من لحمها ، وتقوم بينهم وبين مواطنيهم المسلمين لهذا السبب المعارك الدامية — بينما نرى هذا وأمثاله كثيراً ، نرى كثيراً من سود إفريقيا يستحلون بل يفضلون أكل لحوم البشر من أعدائهم الذين يسقطون فى ميدان الحرب ، أو عبيدهم الذين يعنون بتسمينهم ليكون منهم غذاء دسم شهى ، أو أقاربهم الذين نالت منهم السنون وعجزوا عن احتمال أعباء الحياة(٣)

فى مقابل هذا وذاك نجد بعض البوذيين الدينيين كرهبان الهند الصينى يعدون جريمة قتل أى كائن حى مهما كان ؛ ويصل الأمر بهم إلى ترشيح مياه الشرب حتى لا يبتلع أحدهم أثناء شربه أية حشرة حقيرة غير مرئية فيكون فى ذلك موتها . أما نحن

(١) أسقف فرنسى يعتبر أشهر آباء الكنيسة اللاتينية (٣٥٤ — ٤٣٠)
(٢) الكتاب السابق ذكره للأستاذ الرحالة : Challaye

(١) مما يرجع إليه فى هذا كتاب : (مركز المرأة فى الاسلام) للسيد الأمير على الهندى
(٢) يرجع إلى كتاب Les formes élémentaire de la vie religieuse par Durkheim تأليف إميل ديركيم
(٣) الكونغو الفرنسى Challay: Le Congo-français

فنتخذ موقفاً وسطاً بين الفريقين احترام الحياة الذى يعده هؤلاء الرهبان حقاً مقدساً لكل حى لا نراه حقاً إلا للآدميين ، ولا يعترف به أولئك المتوحشون إلا لعدد قليل كأسرة الشخص أو قبيلته أو أفراد قريته

كذلك الانتحار الذى يحرمه الدين الإسلامى وتنكره المدنية الأوربية الحالية ، يعده اليابانيون تقليداً وطنياً طيباً ، ويرونه واجباً فى كثير من الحالات ؛ ينتحر اليابانى حين يرى أنه جُرد من شرفه أو عانى سقوطاً فاضحاً كبيراً ، وينتحر احتجاجاً على ظلم ارتكب ، أو نحو ذلك من العوامل الأخرى التى تجيزه فى رأيهم . ذكر الأستاذ شاليى Challaye فى كتاب له عن اليابان بعد رحلة إليها طائفة كبيرة من حوادث الانتحار وعوامله ؛ منها : أن ضابطاً انتحر سنة ١٨٩١ ليلفت نظر الحكومة والرأى العام إلى تعدى الروسيا على بعض النواحى فى شمال اليابان ، وأنه فى سبتمبر سنة ١٨٩٢ انتحر أحد الضباط الكبار وزوجته أثناء سير جنازة الامبراطور إظهاراً لإخلاصهما له وعدم رغبتهما فى الحياة بعده [1]

وحرمة مال الغير لم تكن دائماً حقاً مقدساً لكل إنسان . التاريخ يقفنا على أن الغارات على الآمنين من القبائل الأخرى كانت من أبواب الارتزاق لدى كثير من الأمم فى جاهليتها ؛ واليهود كانوا يرون مال الغير — أى غير اليهود — حلالاً سائغاً لهم : « ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل »

من السهل مضاعفة هذه المثل والإتيان بغيرها مستمدة من حياتنا الحالية وتقاليدنا المختلفة فى الصعيد أو الوجه البحرى مثلاً من مصر ، وخاصة فيما يتصل بالأفراح والمآتم وعادات أخذ الثأر والانتقام ، مما يؤكد أن الآراء والأحكام الأخلاقية تتغير مع الزمن وتختلف مع الأوساط والبيئات

ولكن هل من الحق رغم تضافر هذه الشواهد كلها أن ننكر أن هناك حقائق أخلاقية عامة سايرت العُصُر وسادت فى جميع البيئات ؟ بيان ذلك فى الكلمة الآتية إن شاء الله

محمد يوسف موسى

(١) المؤلف نفسه فى كتابه : اليابان المصورة Le Japon illustré

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشا

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال

للأستاذ محمود الخفيف



ساقت الأقدار ولاية العهد لإسماعيل فاستبشر الناس وارتقبوا عهد هذا الأمير الذى ذاع من صفاته فيهم ما حببه إليهم ، وكانوا قد علموا أنه من ذوى النباهة والحزم وبخاصة فى شؤون المال ! ولم يطل ترقب الناس ، فقد آل إليه الأمر عام ١٨٦٣ م

وراحت مصر تستقبل طوراً من أطوار تاريخها ، نحار أشد الحيرة ماذا نسميه وبأى الصفات ننعته .. طوراً كان غريباً حقاً ، تترك غرابته العقول فى دهشة شديدة وتكلف من يريد الإنصاف فى درسه عسراً شديداً

ما برحت فرنسا وانجلترة ترقبان الحوادث فى وادى النيل ؛ أما فرنسا فكانت لا تنى تعمل على أن تزيد نفوذها الأدبى فى مصر ، ذلك النفوذ الذى وضعت أساسه حملتها فى هذه البلاد والذى ما فتئ يتزايد ويعظم فى عهد محمد على ، وها هو ذا فى عهد إسماعيل قد بلغ غايته حينما اتصل فى عهده البحران واستطاع ديلسبس أن يجرى بينهما تلك القناة التى سوف تغير مجرى تاريخ هذا الوادى .. وأما انجلترة فكانت على سياستها تحول دون ظهور قوة فى مصر ، وقد استراحت من محمد على وراحت اليوم تقف فى وجه حفيده وتحرص على أن يظل خاضعاً للخليفة ، ولما التقى البحران أصبح همها متجهاً إلى السيطرة على مصر لتسيطر على القناة

وكان شريف من رجال هذا الطور فى الصف الأول ولكن كان ذلك من الوجهة الرسمية فحسب ، فلقد لبث من عمره سنين لا تحس مصر شيئاً مما ظهر له من خطر فى أواخر ذلك العهد ...

شهدت مصر فى هذا الطور جلائل الأعمال ومظاهر الاستقلال ، كما شهدت عوامل البلى وعناصر الانحلال . شهدت يد التعمير تبعث الحياة والنشاط والقوة فى العاصمة وعلى صفحة الوادى ؛ وشهدت يد التخريب تهوى بمعولها فى غير هوادة أو رحمة فتزلزل البنيان وتقوض الأركان . شهدت العظمة الشامخة والثروة الباذخة وشهدت الذلة المستخذية والفقر المستكين ؛ شهدت نوازع الاستبداد وشهدت دوافع الحرية ؛ شهدت مواقف البطولة والصدق ؛ وشهدت مخازى الدس والبهتان ... شهدت مصر ذلك كله وشهدت زيادة عليه مثل ما تشهد الفريسة تجمعت عليها الذئاب وأوهنها طول الدفاع والجلاد

أراد اسماعيل أن يسبق عصره فيما يطلب من أوجه الكمال ، فلن يجمل بمصر وهو واليها أن تكون قطعة من أفريقيا ، ولا أن تكون جزءاً من تركيا ، ولن يهدأ له بال حتى تنتسب مصر إلى أوروبا ، وحتى تحطم الأصفاد وتطرح عن عنقها نير الاستعباد

لم يمض من عهد هذا الأمير الفذ اثنا عشر عاماً حتى غمر مصر فيض من الإصلاح ، وتهيأ لها من أسباب الرقى ما لم يكن ليتهيأ مثله فى أقل من قرن إذا سارت الأمور سيرها العادى ... ففى تلك الفترة الوجيزة وصل بين البحرين وشقت الترع الطويلة تحمل إلى أنحاء الوادى من مياه النهر وغرينه ما يدرأ عنها رمال الصحراء ، ومدت سكك الحديد وأسلاك البرق ، ونظم البريد ومهدت السبل وعقدت الجسور ، وأصلحت الموانى وأقيمت المنائر ، وشيدت المصانع وافتتحت دور العلم للبنين والبنات وعنى بالمتحف

وفى تلك الفترة تقلص نفوذ السلطان ، وأحاطت بوالى مصر مظاهر السيادة فلقب بالخديو وسمح له بمنح الألقاب ، وأطلقت

يده فأصلح القضاء وأدخل على النظام الإدارى كثيراً من الإصلاح

وفى تلك الفترة سارت القاهرة تستبدل حياة بحياة ، ومظهراً بمظهر ، فتتخلص ما وسعها الجهد من أفريقيا ولا تنى تقترب من أوروبا ، وراح الخديو العظيم ينشر فيها من مظاهر همته ما جعل أعماله فى هذا المضمار من عجائب القرن التاسع عشر ، وما برحت القاهرة طول عهده غاصة « بالمونة والأحجار » تلك التى كانت هوى الخديو ومسرة فؤاده

ولكن اسماعيل وا أسفاه أنفق فى سبيل ذلك المجد ما زاد على خمسين مليوناً من الجنيهات لم يكن لديه منها شىء يذكر ... ولذلك لم يلبث أن رأى مصر التى أراد أن تكون قطعة من أوربا تساق على رغمه لأن تكون ملكاً لأوربا ! فمن أوربا استدانت تلك الملايين ؛ ولما عجزت عن دفع دينها كانت رهينة لذلك الدين .

أين كان شريف حين أخذت مصر فى سياسة الاستدانة ؛ وكيف فاته وهو الأريب الحاذق ما كانت تبيت أنجلترة من غدر لاقتناص مصر ؟ أو لم ير أنها كانت تقيم من أموالها حول الوالى شبا كا أحكمت نسجها يد المكر ، وبالغت فى سترها الرؤوس الماهرة والقلوب الغادرة ؟

كان شريف ناظراً للخارجية كما سلف أن ذكرنا ، فلما تم لإسماعيل الأمر أضاف إليه نظارة الداخلية ، فهو يعرف شريفا معرفة خبرة ووثوق إذ كان له زميلا فى الدراسة ؛ وبقى شريف يدير المنصبين متمتعا بثقة إسماعيل وعطفه ، خليقا بما نال منه من تكريم ، وأى تكريم . كان أعظم يومئذ من أن يقيمه الوالى نائبا عنه حينما رحل إلى الآستانة عام ١٨٦٥ وما كان إسماعيل ليفعل ذلك لولا أنه كان يرى شريفا أكثر الناس ولاء له

على أن شريفا لم يك يملك غير النصح فى عصر كذلك العصر وتلقاء رجل كإسماعيل تناهى إليه السلطان والبأس حتى ليستنكف أن يذعن للخليفة ، فيسعى ما وسعه السعى لتطلق يده فى شؤون مصر كلها وبخاصة فى عقد القروض

ولكن هل نصح شريف لاسماعيل كما كان خليقا أن يفعل ؟ لو أنه فعل ذلك لجاء ذكره فيما جاء من أخبار ذلك العهد الذى كثرت فيه الأقوال . ومهما يكن من الأمر فقد ظل شريف فيما اختير له من المناصب لا يعارض ولا يغضب فيستقيل ... وتلك مسألة أخرى نعدها على شريف ونأخذه بها ...

بيد أننا من جهة أخرى نعود فنذكر أن مبدأ المسئولية الوزارية لم يكن قد قام فى مصر بعد؛ فإسماعيل هو وحده المسؤول عن حكم مصر وسياسة مصر ، وما على نظاره إلا أن ينفذوا ما يأمرهم به دون أن يكون لهم فيه رأى أو تكون عليهم من جرائه تبعة ؛ ولم يك ثمة فرق بين جيب إسماعيل وخزينة مصر ، ولذلك كانت سلطته المالية أعظم من سلطته الإدارية إن صح أن كان بين السلطتين تفاوت ...

هذا كله حق لا سبيل إلى إنكاره، ومن أجله يخف وزر شريف وتقل ملامته ، ولكنه لن يعفى من ذلك الوزر إلا أن نميل فنتحيز أو أن نذكر بعض ما بذله شريف من جهود جبارة فيما بعد فى مقاومة نفوذ اسماعيل ومحاربة طغيان الأجانب فيحملنا ذلك على تناسى موقفه فى تلك الفترة التى غلب على طبعه فيها الهدوء والرضى ... على أننا لا نسيغ هذا ولا تطاوعنا النفس على ذلك .

والواقع أن هذه الفترة من حياة شريف فترة سكون لا يتفق وما جبلت عليه نفسه من شجاعة شهد له بها حتى خصومه ، فهل كان مرد ذلك إلى ما كان من إذعان مصر نفسها واستسلامها ؟ يخيل إلى أن ذلك أقرب إلى الصواب . فلقد كان الرأى العام فى ذلك الوقت أعنى مدى الاثنى عشر عاماً الأولى من حكم إسماعيل لا يزال فى مرحلة تكوينه ، ولذلك لم يكن للشعب نفوذ إلى جانب نفوذ إسماعيل وجاهه ، فمجلس شورى النواب الذى أنشأه الوالى والذى أولاه شريف حظاً كبيراً من عنايته ونشاطه ، كان لا يملك حق محاسبة الحكومة ؛ وكانت البلاد محرومة من الصحافة الوطنية، خالية من الأحزاب السياسية ؛ وكان المتعلمون من المصريين منصرفين إلى المناصب الحكومية يتقدمون بالزلفى إلى إسماعيل وحكومته . ولقد أدى الانتخاب لمجلس الشورى إلى حرمان المجلس من هذا العنصر لو أنهم أرادوا أن يتجهوا إليه ...

وعلى ذلك فلو أن شريفاً تحرك حركة قومية فى ذلك الوقت لما هزت حركته النفوس ، كما راحت تهزها حركاته فيما بعد حين أفاق الرأى العام على تدخل الأجانب فى شئون مصر ، وحين ظهرت فيه عناصر لم تكن موجودة من قبل ، كدعوة جمال الدين التى أومضت فى ظلمات ذلك العصر ، وكظهور الصحافة واهتمام المتعلمين بقضية البلاد المالية ، وغير ذلك من أسباب البعث والنهوض ...

عندئذ آن لشريف أن يخطو ، فكأنما كان قبل خطواته الوطنية فى مرحلة الإرهاص ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الزعماء من قبله ومن بعده . وما أعظم الشبه فى ذلك بين سعد وشريف ! فهذا سعد جبار هذا الوادى وزعيم أبطاله ومفخرة أجياله ، ظل فى الفترة الأولى من حياته ساكناً لولا ما كان من آثار قلمه

ونفثات روحه . فلما سارت الحوادث سيرها ، وتهيأت البلاد لانتفاضة تنفس عنها بعض ما بها تلفتت القلوب ودارت الأعين فلم تستقر إلا عليه كأنما ألهمت ذلك إلهاماً ! ... وإنك لترى من أوجه الشبه غير هذا كثيراً بين سعد وشريف فيما نقص من سيرته

كان لا بد للمسألة المالية أن تنتهى إلى ما انتهت إليه من تدخل الأجانب فى شؤون مصر الداخلية ، ولكن هذا التدخل لم يكن شرا كله كما اعتاد المؤرخون أن يصوروه ، وحسبنا مما انطوى عليه من عناصر الخير أن قد استيقظت على ضجيجه وصخبه مصر ، فانبعثت القومية المصرية ومضت تنفض مصر عن كاهلها غبار القرون على صورة أروع وأقوى مما تبدى فى ثورتها على نابليون وكليبر ، ومما ظهر من آمالها ومشيئتها يوم ذهب أبناؤها وعلى رأسهم عمر مكرم والشرقاوى يلبسون محمد على الكرك والقفطان دون أن يرجعوا فيما فعلوا إلى السلطان ...

تراكمت الديون على مصر حتى أنها لم تكن تقل عن تسعين مليوناً من الجنيهات فى عام ١٨٧٥ م . فمن ديون سائرة كانت فى ذاتها أبلغ ما نال الخديو من معانى الغبن ، إلى ديون ثابتة فيها أوضح معانى الشره وأقبحها من جانب الدائنين ، إلى قروض داخلية لجأ إليها «المفتش» ذلك الذى قام على شؤون مصر المالية ، فكان فى ذاته عبئاً فوق أثقالها التى ناءت بها ، ومن تلك القروض الدالة على شدة الارتباك والخلل دينا المقابلة والرزنامة ...

عندئذ تحركت انجلترا نحو هدفها ، وكانت أولى حركاتها فى هذا المضمار شراء نصيب مصر من أسهم القناة ، اشتراه دزرائيلى رئيس وزرائها بثمن بخس ! ولم يرده عن ذلك عطلة البرلمان يومئذ . وكيف يفوت دزرائيلى وهو الذى يعرف الفرص ويعرف كيف يقتنصها، كيف يفوت ذلك الداهية أمر كهذا الأمر يجعل مركز بلاده فى القناة كمركز فرنسا أو أعظم ، ويصحح خطأ وقعت فيه انجلتره ألا وهو استهانتها بالمشروع أول الأمر ظناً منها أنه لن يتم، ثم تراخيها عن شراء الأسهم بعد ذلك رغبة فى إحباطه

ولكن مصر بعد بيع أسهمها لا تزال فى حاجة إلى المال لتدفع به بعض ما جره عليها المال من وبال . وأنى لها المال بعد ذلك كله ؟ وأية دولة تمد إليها يدها ؟ إذاً فلتفكر مصر فى الاصلاح ثم فلتفكر انجلترة فى اصطياد الفريسة !

طلب الخديو موظفاً انجليزيًا يدرس لها شؤون مالها ويصلح ما يراه من أوجه الخلل ؛ فتلكأت انجلترة لأنها عن دهاء وجشع تحب أن تتدخل ولكنها لا تحب أن تفتح أعين غيرها

وجاء الموظف ولكنه زود من جانب حكومته بأوامر، فعليه أن يدرس وعليه فوق ذلك أن يحقق ويدقق ثم يرفع تقريراً عما رأى ! وما لهذا أراده إسماعيل فما كان يريد والى مصر إلا أن يكون هذا الموظف معيناً له فى إصلاح مالية البلاد

ورفع « كيف » التقرير إلى حكومته ! وجاء دور دزرائيلى فأعلن البرلمان الإنجليزى فى غير تردد ولا استحياء أنه يرغب عن نشر التقرير لأن الخديو رجاه فى ذلك . ولعمر الحق ما رجاه الخديو ولا أشار إلى ذلك من قريب ولا من بعيد ...

ذعر الدائنون ، وهبطت أسهم مصر كما يقول رجال المال ، وتلقى الخديو الصدمة العنيفة ممن أمل على يديهم الإصلاح وقال فى مرارة وغيظ : « لقد احتفروا لى قبرى » وهى كلمة موجعة جامعة ، فبعد هذا التصريح من جانب دزرائيلى سيكون الطوفان . وما كان فى تقرير كيف إلا أن مصر « تشكو مما ينتشر فى الشرق من أمراض منها الجهل والإسراف والاختلاس والإهمال والتبذير وأنها تشكو من كثرة النفقات التى سببتها محاولة إدخال مدنية الغرب والتى تترتب على مشروعات لا تجدى نفعاً ، وعلى مشروعات نافعة ولكنها تنطوى على الخطأ » . بل لقد ذكر كيف فى عبارة صريحة : « إن مصر تستطيع أن تدفع ما عليها من الديون إذا أحسنت إدارة البلاد » . ولكن للسياسة مطامعها وأغراضها ولها من أجل ذلك أساليبها التى كثيراً ما تسخر مما تواضع عليه أغرار الناس من قواعد الخلق والاستقامة !

لم تستطع مصر أن تفلت من دائنيها فكان لابد من إذعانها لمراقبة مندوبيهم وتألف فى مصر « صندوق الدين العام » فكان حكومة صغيرة من الأجانب داخل حكومتها ؛ ثم وافق الخديو مكرها على تعيين مراقبين أجنبيين أحدهما انجليزى للدخل والآخر فرنسى للصرف ، وعين تبعا لهذين موظفين من الأجانب برواتب ضخمة ؛ وعنى الخديو حقا بالاصلاح يومئذ ولكن يد الغدر كانت من ورائه تبعث الارتباك وتنصب الشباك

وقبل الخديو فيما قبل على رغمه تأليف لجنة من الأجانب سميت « لجنة التحقيق العامة » جعل على رأسها دلسيبس ومنحت سلطة واسعة غير محدودة، فما كادت تعمل حتى اصطدمت، وكان اصطدامها فى بدء عهدها لسوء حظها بالرجل الذى يتحفز ويتحين الفرصة ليثب. ومن يكون ذلك الرجل فى تلك الأيام العصيبة غير شريف ؟

استدعته اللجنة ليمثل أمامها لتستفهمه، فتعاظمه الأمر فأبى، فأصرت اللجنة وقد خشيت على هيبتها ونفوذها ، ولكنه خشى



التربية العملية

أطفالنـــــا

للآنسة زينب الحكيم

التربية العملية مسألة لا يجدى فيها ترقيع، ولا يفلح فيها النصح الكلامى كثيراً إذا فات أوانها، وأهمل شأنها فى حياة الانسان المبكرة. لهذا سأوضح ببعض الأمثلة كيف يمكن تنشئة الطفل منذ طفولته، ليتناسب مع الجماعة، ويشب على روح الفرد للمجموع، والمجموع للفرد (المحررة)

كلنا يُقرّ بشدة العناية التى تحيط المولود من يوم ولادته، تلك العناية التى قد لا يشابهها العناية بالملوك على عروشهم، ولا الجبابرة المتألهين على أقوامهم

فالطفل، فى مدى الخمسة عشر أو الثمانية عشر شهراً الأولى من حياته، تؤدى له جميع لوازمه، ولو ضحيت فى سبيل ذلك صحة الكبار ولا سيما الأم. وكنتيجة لهذه المعاملة، وتلك الرعاية، يصير الطفل أنانياً بكل ما فى هذا التعبير من معنى، خصوصاً بعد أن يقارب تمام السنتين من العمر

وكلما بدأ الطفل يتحرر من طور العجز، أو الاعتماد المطلق على من حوله فى الطفولة المبكرة، يبدأ ينازع رغباته ولوازمه من أجل إخوته وأخواته، ومن والديه والأفراد الآخرين الذين يحيطون به.



فرغباته الشخصية، وطلباته المضادة لطلبات المجتمع، يجب تعديلها بحكمة، وبهذا يبدأ حفظ أول درس صعب فى الحياة. وبفهم هذه المتناقضات الأولية فى حياة الطفل تتساعد على فهم سلوك الأطفال بوجه عام... ومن ثمّ نرشدُ إلى أمثل الطرق لتربيتهم، وأحسن التدابير لتنشئتهم

أما جعل الطفل مناسباً لبيئته، وتهيئة البيئة نفسها لمناسبته، فمقدمتان تستلزمان مجهوداً عظيماً، لأن كل فرد منا يفهم ويقدر أن للجماعة فى أى بيئة مطلبين ضروريين:

١ — أن يعيش الإنسان مع آخرين من نوعه، لأجل حماية الجماعة ... ولأنه اجتماعى بطبعه، ولأجل إيجاد إلف له

٢ — أن يقف كفرد يدفع عن سلامته الشخصية، وأن يستطيع جذب رفيق له.

ومن هذا نرى، أن له عدة حقوق خاصة واضحة، وعليه

هو أيضاً على كرامته وكرامة منصبه فأصر كما أصرت . . . أيمثل شريف أمام لجنة من الأجانب؟ ولم لا تنتقل إليه اللجنة وهو العزيز بنزاهته واستقامته، الكبير بشخصه ومنصبه، العظيم بوطنيته وكرامته؟ إذاً فليطلق شريف المنصب غير آسف، وقد كان ما أراد فاستقال! وهزت البلاد استقالته بما تنطوى عليه من المعانى فلقد كانت وثبة فى حينها، كانت غضبة من رجل فى أمة عدّ بها أمة فى رجل؛ وهكذا خطوات أحرار الشمائل وعظماء الأجيال كأنما تجئ على قدر من الأيام فتكون رداً بليغاً على من يزعمون أن عظماء الرجال يدينون بعظمتهم لظروفهم لا لصفاتهم، هذه فى مصر هى الظروف، فليت شعرى لم لم يظهر غير شريف وقد غضب مع شريف عشرات غيره من الرجال؟

«يتبع» الخفيف

واجبات لنفسه كفرد ، ولكن مشكلته العظمى هي معرفته كيف يوفق شخصيته ورغائبه لاحتياجات الجماعة .



لقد كان الإنسان الأول في طفولته يعرف هذا التوفيق بالصدفة ، أي بطرق عرضية مطولة ملفوفة ، بينما نصل إليها الآن بطرق مباشرة مختصرة قليلة الالتواء إن وجد ، لأن الدراسات الحديثة قد أفادتنا كثيراً ، ودلتنا على أن في نفس الطفل غرائز وميولا وطاقات كامنة، وهو مهيأ لكيفية تنميتها — إذن ما علينا إلا أن نترك له القيادة ، فيفصح لنا عن نفسه ؛ وعملنا نحن هو أن نوجهه ونرشده إلى أحسن السبل ليهيء نفسه لبيئته ، مع مراعاة أن ضروريات الجماعة ومستوياتها دائمة التغير .

فالسلوك الخلقي لجيل ما ، يعتبر دائماً السلوك غير الخلقي بالنسبة للجيل الذي يليه . وإذا افترضنا أن على الطفل أن يستمع ويخضع لأوامر إخوته ووالديه ، وجدوده ومعلميه فعلينا أيضاً أن نفترض له منفذاً لرغباته حتماً .

وهنا يتحتم على الوالدين واجبان : —

١ — أن يعلما الطفل إلى أي حد يجب عليه أن يخضع رغباته واحتياجاته لرغبات واحتياجات الجماعة .

٢ — عليهما أن يعلماه إلى أي حد يمكنه أن يشبع رغباته ، وإلى أي حد يجب أن يدافع عن حقوقه ، وإلى أي حد يعتد بنفسه ، ومتى يخضع لأوامر الغير ، ومتى يعدل رغباته نزولاً على إرادة الجماعة .

الطفلة (جميلة) نشأت وهي صغيرة في مزرعة ، وأحاطها أمهات وآباء محبون جداً لها ، ولم ينقص حب الخالات والعمات لها عن حب الجدات والجدود .

وطفلة في مثل هذه البيئة ، وهذا الجو ، أحست بأهميتها ، وبالغت في إملاء إرادتها فكانت إذا أرادت شيئاً ما يحضر لها ، ما كان عليها إلا أن تبكي بصوت مرتفع ، ولمدة كافية حتى تحصل على ما تريد . وأحياناً كانت تبكي على أشياء لا يمكن أن تعطى لها ، كأن تريد القمر مثلاً . وكانت تبكي أحياناً أخرى بدون سبب

ففي هذه الأوقات التي لم يمكن فيها إجابة طلباتها ، أو الصبر على تدليلها إشفاقاً عليها من كثرة البكاء — كان يقول أحد من بالمنزل : « خذوا جميلة إلى الحديقة وأركبوها الحصان — قد يهدئها ذلك » أو يقول آخر في مناسبة أخرى : « خذوها إلى شارع المحطة لترى القاطرة الكبيرة وهي مارة — قد يهدئها ذلك »

وإذا لم تفلح هذه الطرق معها ، كان يعطى لها قطعة من الحلوى لكي تهدأ . ولقد استمر هذا النوع من المعالجة ، حتى أتى على أفراد الأسرة يوم نضب فيه معين حيلهم مع هذه الطفلة لتهدئتها كلما بكت



فمرة من تلك المرات ظلت تبكي وترغي وتزبد مدة طويلة ولم يلتفت إليها أحد . فما كان منها إلا أن نادت بأعلى صوت قائلة : « إعطوا جميلة قطعة من السكر — ذلك قد يهدئني » دهش كل فرد حولها لما حدث منها ، وحار الجميع كيف يجاوبونها ، وتأملت هي طويلاً ثم قالت : « خذوني إلى الحديقة لأركب الحصان — ذلك قد يهدئني » واستمرت تبكي

هنا وهنا فقط فطن الوالدان وكل أفراد الأسرة للدرس المهم

الذى أعطته لهم هذه الحادثة ، ونبههم إلى تلافى الغلطة التى كانوا يقعون فيها فى تربية الطفلة ؛ ومن حسن حظها أن غيّر الجميع خطتهم معها تدريجياً ، وعدلوا مجاوبتهم لبكائها

من هذا يرى أنه إذا سمح للطفل أن يصير أنانياً ، بحيث يطلب كل ما يريد غير ناظر إلى حقوق الغير ، فإنه سيقضى طول حياته على خلاف ومنازعات مستمرة مع الناس الآخرين ، ويشعر غالباً بأن الناس لا يعدلون فى معاملته أبداً . وكثير من الأفراد لا يحصلون على ما يشعرون أنه من حقهم ، ذلك لأنهم ينتظرون أكثر مما يستحقون من الحياة ، ويتطلبون من الناس أن يتنازلوا لهم ويؤثروهم على أنفسهم بحالات لا يمكن تحقيقها

وهـذا هو السرّ فى سـوء حال الشبان الذين لا تقدر على ترويضهم عائلاتهم ولا مدارسهم ويضج منهم المجتمع . والكل يشكون ويتأففون من فساد المجتمع ، ولـكن ليس الذنب كله ذنب المجتمع ، فلو لم توجد عندنا حالات عامة شائعة فى بيوتنا المصرية من أشباه التربية الخاطئة ، لما سمعنا بحوادث الأولاد الذين يتهجمون على آبائهم بالضرب أو القتل ، أو تنكيد حياة الأم ، لشدة هياج ابنها العصبى وغير ذلك فى كل وقت . والحقيقة أن لا عصبية هناك ولا جنون ، وإنمـا هو سوء التربية المبكرة وخطؤها الذى يجعل من الطفل شخصية غير شخصيته ، ويجعل حياته كلها تصنعاً والتواء .

إن سلطة الوالدين والمربين على الطفل هى التى تعلمه حقوق الجماعة . ولـكن ليحترس من استعمال السلطة بغلظة وجهل معه ، فإنه إذا حصل ذلك ولم يكن لدى الطفل المخارج الـكافية لنزعات نفســه ، فإنه يصبح شغوفا قلقا خجلا فى غير موضع الخجل ، عنيدا ينكر كل شىء ، ويشاغب حيث لا سبيل إلى الشغب ، ويصير أشد ميلاً للتأثر بغير بيئته التى باتت غريبة عليه .

وهذا دون ريب مالا نقصد إليه . إذن يجب أن تخدم السلطة الوالدية غرضين :

١ — أن تكون وسيلة يتعلم بها الطفل كيف يوفق نفسه للجماعة ...

٢ — أن تكون وسيلة يتعلم بها الطفل أيضاً إلى أى حد يمكنه أن يعبر عن رغباته واحتياجاته .

ذلك لأن كثيراً من الضغط على الطفل يتعين خطؤه وضرره إذا ما كلفنا أنفسنا مشقة إيجاد المخارج الصحيحة التى يعبر الطفل فيها عن نفسه ؛ ويظهر لنا تعسف أوامر النهى التى نضايق الطفل بها والتى يستغنى عنها تماماً ، إذا اتبعت طرق التربية الصحيحة ، التى تمكن الطفل من إشباع ميوله دون إزعاج الآخرين .

ولا يصح أن نتصور أن الطفل إذا خالف قانونا أو نظاما يجب أن يسامح ، لابل يجب أن يعاقب . وكل ما نرى إليه هو أنه يمكن أن نعلم الطفل دائماً ، ونعوده التعبير عن رغباته وإشباع ميوله ، دون مضايقة الجماعة .

زينب الحكيم

ذكريات

بمناسبة انعقاد المؤتمر الطبي بالقاهرة

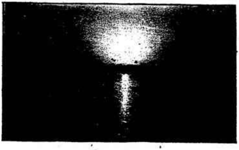
في مثل هذا الوقت من العام الماضي، كنت أتخذ عدتي للسفر مع أعضاء المؤتمر الطبي العربي الذي انعقد في عاصمة بلاد الرشيد.

ولقد تعاونت الحكومة والشعب على إنجاح المؤتمر وإكرام المؤتمرين ومساعدتهم على زيارة بلادهم الجميلة



سعادة فخر الدين باشا آل جميل الذي نزلت ضيفة على أسرته في بغداد، وهي من أعرق الأسرات العراقية

وفضلاً عن تخفيض أجور السفر المتبعة بمناسبة انعقاد المؤتمرات وما شابهها، فإن الحكومة العراقية مبالغة في السخاء تفضلت بجعل السفر مجاناً على السكك الحديد مع كثرة نفقاتها هناك ولقينا من حسن معاملة مختلف الهيئات كل مشرف سار.



الغروب على دجلة (طريق الكرادة : بغداد)

وإني قوية الأمل، شديدة الرجاء، أن ينال جميع أعضاء المؤتمر الطبي — وهم في بلادنا — مثل هذه المعاملة جرياً على عاداتنا. وإني أهيب بكل تاجر ومرشد، وكل ذي مصلحة شخصية من أجانب ووطنيين أن يترفع عن مضاعفة أثمان ما يروق لضيوفنا شراؤه، وخصوصاً للعراقيين، فإن التجار في بلادهم أقسموا أنهم كانوا يبيعون لنا الأشياء بأثمان أرخص مما يبيعون بها لأهل البلد والتاجر العراقي صادق أمين، كلمته شرف، ووعده موفى مهما يكن من الأمر



الشعار العراقي يزين أظهر مكان في سراي آل جميل وتجلس على الأريكة التي تحته الآنسة زينب الحكيم، مرتدية بعض ملابس السيدة العراقية في البصرة

وإني لهذه المناسبة السارة أختص الرسالة الغراء ببعض الصور التذكارية عن المؤتمر الطبي السابق تحية لأطباء العراق وترحيباً بهم وبجميع الأعضاء الأفاضل.

زينب الحكيم



الآنسة بديعة آل جميل



إثبات نظرية التطور

للأستاذ عصام الدين حفني ناصف

البراهين على صحة نظرية التطور كثيرة لا يحصرها العد ، فحيثما أرسل الإنسان الذى وعى هذه النظرية بطرفه فى عالمى الحيوان والنبات ، وجد شواهد توضح ما بين مختلف الكائنات الحية من صلة القربى . وقد اخترنا هنا أمثلة قليلة تتعلق بحيوانات مألوفة ؛ نراها مما يسهل فهمه وتجدر معرفته

من علم ترتيب الكائنات

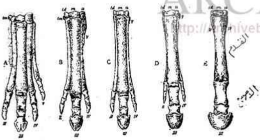
وصف العلماء إلى الآن ما يربى على ٥٠٠٫٠٠٠ حيوان حى و٢٠٠٫٠٠٠ نبات و١٠٠٫٠٠٠ متحجر ينفرد كل منها بصفة من الصفات . وهم يقسمونها إلى أقسام مختلفة المراتب ، فنوع الثعلب ونوع الذئب ونوع الكلب تابعة كلها لجنس الكلب ، وهذا تابع للعائلة الكلبية من فصيلة آكلات اللحوم ، وهذه تابعة لتربية ذوات الثدى وهى تابعة لقبيلة ذوات الفقار

وليس تحديد الأنواع من الأمور السهلة ، فبعض العلماء يعتبر بعض المجموعات أنواعاً جديدة فى حين يعتبرها علماء آخرون مجرد « تنوعات » ونحن نلتقى بالتنوعات دائماً حين نبحث آلاف النماذج من أحد الأنواع الحيوانية أو النباتية ، وهذه القدرة على التنوع من أهم خصائص الأحياء ، فهى تيسر لها ملاءمة البيئة المحيطة بها ، وذلك يتيح لها أن تتطور وترتقى من حيث بناء الجسم وقدرته على العمل

وعلم ترتيب الكائنات ينطق بصحة نظرية التطور (١) لأن الوفرة الهائلة فى عدد الكائنات الحية التى يمكن على الدوام إثبات وجود أشكال انتقالية بينها ، تسير كلها ببطء فى طريق التحول والتغير (٢) ولأن « النوع » لا يمكن تحديده تحديداً تاماً ، فلا بد أن يكون شيئاً متغيراً

من علم الحفريات

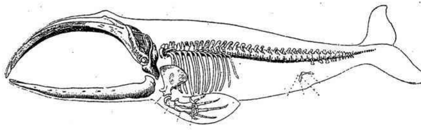
تتكون طبقات الأحجار الرسوبية فى وضع أفقى ، ويكون أسفلها أقدمها عمرا ، وتحتوى كل طبقة على حيوانات ونباتات دفنت فيها فى العصر الذى تكونت فيه تلك الطبقة ، وقد وجد أن الحفريات التى دفنت فى طبقة قديمة العهد تكون أبسط فى تكوينها وتركيبها من حفريات الطبقات التى هى أحدث منها عهدا .



تبين هذه الصورة تطور عظام القدم الأمامية للحصان ، ونرى إلى اليمين قدم الحصان الحالى وقد قويت فيها الأصبع الوسطى ونمت ، كما نرى الأصبعين الثانية والرابعة وقد ضمرتا كثيراً. فاذا انتقلنا إلى الشكل الثانى من الجهة اليمنى وجدنا صورة عظام القدم فى عهد سابق قبل أن تصل الأصبعان الثانية والرابعة إلى هذه الدرجة من الضمور ونرى أثراً باقياً من الأصبع الخامسة ، أما الشكل الذى إلى اليسار فنرى فيه هذه الأصابع أكبر حجما لأنها أصابع حصان أقدم عهداً

ومن الأمور الهامة أننا نجد حفريات كل سلسلة من سلاسل الأنواع الحيوانية على النحو الذى كنا نتصورها عليه قبل أن نعثر بها وذلك ما حدث مثلاً فيما يتعلق بقدم الحصان ، فقد تعودنا أن نجد معظم الحيوانات الثديية الراقية ذات خمس أصابع فإذا اختلف الأمر عن ذلك فى الحصان ، ألزمتنا نظرية التطور

بافتراض أن أصابع أسلافه كانت خمسا فبقيت منها واحدة وضمرت الأربع الأخرى ، ونحن نميز فى قدم الحصان الحالى إصبعاً واحدة ونجد فى الخيل المتحجرة فى عهد البليوسين أن قدمها ذات ٣ أصابع وفى الخيل المتحجرة قبل ذلك فى عهد الميوسين أنها ذات ٤ أصابع وفى المتحجرة فى عهد الأيوسين أنها ذات ٥ أصابع



الهيكل العظمى لحوت جرينلاندا داخل إطار يبين الشكل الخارجى للحوت . ويتضح عند تشريحه أنه ليس من الأسماك كما يوهم شكله ، بل هو من رتبة الحيوانات الثدية ، فليست الزعنفتان الأماميتان سوى الذراعين وقد تطورتا . ويلاحظ أنه مع ضخامته ذو مرئ ضيق فهو مضطر إلى التغذي بالقواقع الصغيرة والحيوانات القشرية الصغيرة ومن نجف البحر ، فليس فى استطاعته أن يبتلع إنسانا كما يتوهم العامة

من علم التشريح المقارن

يرينا التشريح المقارن ذلك التشابه المظيم بين جسم الإنسان وأجسام باقى الحيوان وفى مقدمتها « الشبيهة بالإنسان » وهى الشيمبانزى (البعام) والجوريلا (الغول) والأورانج أوتان (إنسان الغابة) والجيبون . ويقابل التشريح المقارن بين الأعضاء فى مختلف الأنواع الحيوانية فيثبت ما بينها من أوجه الشبه سواء فيما يختص بالشكل الخارجى أو الوظيفة . فإذا نظرنا إلى جناح الخفاش وذراع الحفر عند الخلد وذراع الإنسان وجدناها متشابهة تشابهاً عظيما فى تركيب عظامها رغم تباين وظائفها ، وما ذلك إلا لأن هذه الحيوانات متسلسلة من أصل واحد .

ينظر معظم الناس إلى الحوت باعتباره ضرباً من السمك ، وذلك لإقامته فى الماء ولشكله الوشعى (المغزلى) ولوجود زعانف الصدر والذنب ، ولكن تشريح الزعنفتين الأماميتين يرينا فى كل منهما هيكلاً عظمياً يشبه مثيله فى الطرف الأمامى من الحيوانات الثديية الأخرى . أما الزعنفة الذنبية فيدعمها محور عظمى هو نهاية العمود الفقرى . ولبعض أنواع الحيتان زيادة عما تقدم زعنفة ظهرية بيد أنها خالية من أية دعامة عظمية ، ولا إيضاح لهذا التباين فى بناء الزعانف المختلفة فى الحوت الواحد ، ولهذا التعقد فى بناء هيكل الزعنفة الصدرية إلا أن الحوت متسلسل من حيوان برى كان يستعمل طرفيه الأماميين فى المشى ثم تطورا بتطور معيشته من برية إلى بحرية . وهنالك إثباتات أخرى تؤيد أن الحوت حيوان ثديى متسلسل من أصل برى ، وهى كونه يتناول الأوكسجين اللازم لحياته برئتيه من الهواء لا بالخياشيم من الماء ، وكونه من ذوات الدم الحار فلا تنخفض حرارة جسمه — كالأسماك — بانخفاض حرارة الماء الذى يعيش فيه ، وكون أنثاه تلد صغارها تامة التكوين وترضعها .

من علم الأجنة

يجتاز كل حيوان فى نموه من خلية البيضة حتى يكتمل سلسلة من التغيرات المحتومة ، ويمر بسلسلة من الأشكال المختلفة، هى إعادة موجزة للسلسلة الطويلة من الأشكال التى اجتازها أسلاف هذا الحيوان أى أصول نوعه منذ أقدم أزمنة الخلق العضوى حتى الوقت الحالى

فالحوت — مثلاً — يمتاز فى كبره بعدم اشتمال جسمه على الشعر والأسنان والعنق والطرفين الخلفيين ، ولكن هذه الأعضاء توجد فى جنينه ، وذلك ما يشير إلى تسلسله من أصل ثديى له هذه الأعضاء

كذلك يحوى جسم الجنين الإنسانى أعضاء عدة لا إيضاح لها إلا أنها موروثة عن الأسلاف الحيوانية ، فهو مغطى بشعر كثيف يذكرنا بفروة القرد ، وقد يبقى الثوب الشعرى الجنينى فى أحوال مرضية شاذة عند من يسمونه بالإنسان الكلبى . وللجنين الإنسانى ذنب واضح ، وله فى كل ناحية خمس مجموعات

من غدد لبنية ، وذلك ما يدل على أن العضو اللبنى — كما هو الحال عند الحيوانات الثديية الدنيئة — لم يكن فى الأصل زوجاً واحداً فقط

من علم الانتشار الجغرافى

تُقدم لنا الجغرافيا الحيوانية كثيراً من الحقائق الناطقة بصحة نظرية التطور . فمن ذلك أن المناطق والأقاليم المنعزلة عن غيرها تحوى أنواعاً حيوانية خاصة بها لا توجد فى سواها . ولئن كانت حيوانات أمريكا الشمالية شبيهة بحيوانات شمال آسيا وشمال أوروبا فإن لحيوانات أمريكا الجنوبية (أعنى التى كانت بها قبل أن يستعمرها الجنس الأبيض) صفات ومميزات خاصة بها نتجت من نمو تلك الحيوانات فى عزلة وعدم اختلاطها بحيوانات أمريكا الشمالية . وذلك لأن أمريكا الوسطى كانت فى عصر الميوسين مغمورة بالماء ، فلم يكن ثمة وجود لذلك المعبر الأرضى الذى انبثق بعد ذلك فوق اليمّ فأصبح يصل بين الأمريكتين . ومما يؤيد هذا التفسير وجود بعض الأسماك والقواقع مشتركة فى المحيطين شرق أمريكا الوسطى وغربيها مع أنه لا يوجد نوع من الأسماك والقواقع مشترك فى شرق أمريكا الجنوبية وغربيها



رأس جنين فى الشهر الخامس من تكوينه ويرى مكسواً بالشعر الجنينى الذى يسقط قبل الولادة

ومما يلفت النظر تلك الجزائر التى طلعت فى المحيط بعمل براكين تحت الماء مثل جزيرة سانت هيلانة (وتبعد ١٨٠٠ كيلو متر عن إفريقيا) فهى خالية تماما من الحيوانات الفقرية البرية والطيور البرية ، وبها من الطيور البحرية نوع واحد من النورز له قرابة بالأنواع الأفريقية ، وبها أنواع من الخنافس ذات الخرطوم وهى الأنواع التى تعيش هى ويرقاتها وعذاراها على الخشب وفى داخله . وفى ذلك ما يبين أنها انتقلت إلى تلك الجزيرة النائية محمولة على أخشاب طافية . ولو كانت حيوانات تلك الجزيرة قد خلقت على حدة لما كان هناك سبب مفهوم لإيثارها بالأنواع ذوات الخرطوم من الخنافس .



ما يسمى بالإنسان الكلبى وقد احتفظ بالشعر الجنينى

التفاعل الحيوى الكيميائى للدم

إذا تركنا دماً طازجاً فى مكان ما ، رسبت منه الكرات الدموية والألياف وبقى سائل أصفر هو المصل . ولكل حيوان فقرى مصل خاص به من شأنه أن يضر بالكرات الحمراء التى فى دماء الأنواع الحيوانية الأخرى . بيد أننا إذا كررنا حقن مقادير صغيرة من مصل دم حصان — مثلاً — فى الأوعية الدموية لأرنب ، تغير دمه بعد فترة من الزمن فأصبح مصل دمه يؤدى عند وضع قطرات منه فى محلول يحوى قليلاً من مصل دم الخيل ، إلى تكوين راسب زَغَبى ، وهو يحدث الترسيب أيضاً — ولكن بدرجة أضعف ، مع دم الحمار ، وذلك ما يوضح قرابته به . فإذا حقنّا أرنباً بمصل دم إنسانى أصبح مصل هذا الأرنب يرسب الدم الإنسانى ، بيد أنه أيضاً — وبنفس القوة — يرسب دم القردة « الشبيهة بالإنسان » ، أما القردة الأخرى فيرسب دماءها بدرجة ضعيفة.. وهذه التجربة تبرهن لنا على وجود « صلة الدم » بمعناها اللفظى

الإنسان في ضوء نظرية التطور

يتعين علينا من الوجهة الفنية المحض أن ندخل الإنسان فى نطاق نظرية التطور وقوانينها، فليس الإنسان من حيث العلوم الطبيعية سوى حيوان فقرى يمشى قائماً ، ومن مميزاته الظاهرة على سائر الحيوانات الثديية القريبة منه أنه يعتمد فى سيره على قدميه فقط ، وكثير من خصائصه الجسمانية الأخرى موجود فى عالم الحيوان وإن لم يكن مجتمعاً بهذا التوافق إلا فى الإنسان

والإنسان عظيم الشبه بالقردة الراقية إلى حد جعل أحد العلماء يقول : إن الفرق بين أحط الأجناس الإنسانية والقردة « الشبيهة بالإنسان » أقل كثيراً منه بين هذه وأحط القردة

ولئن كان المنظر الخارجى للجوريلا يبعث فينا النفور من تصور صلة قرابة تربطنا بها ، فأننا نجد حين نسلخ جلدها أن التشابه بين جسمها وجسم الإنسان لافت للنظر . فكل عظمة وكل عصب وكل عضو من الأعضاء المختلفة موجود عندها فى مثل موضعه عند الإنسان . وهى تشبه الإنسان كذلك فى كونها بلا ذنب ناتئ خارج الجسم ، وبلا انتفاخ فى الإلية، وبلا شعر كثيف فى الخدين كما تشبه فى بناء عضو التفكير أى المخ، فإن مخها يحوى نفس الأجزاء والأخاديد والتلافيف التى يحويها مخ الإنسان

مستقبل الإنسان

من المرجح جداً أن يستمر الإنسان فى التطور مدى أزمنة طويلة جداً ، ولكنا لا نستطيع أن نقطع : هل يكون هذا التطور إلى أرقى أم إلى أحط ؟

لقد اكتظت الأرض بالحياة أحقاباً طويلة دون وجود الإنسان . ومن الممكن أن تبقى حافلة بالحياة ولو انقرض الإنسان ؛ فالأرض لم تخلق هى وعالم الأحياء من أجل الإنسان، ولكن مجده وقوته فى كونه يعرف كيف يستغلها ويستخدمها لقضاء أغراضه .

عصام الدين حفنى ناصف



الفـــن الأمريكي

العمارة

للدكتور أحمد موسى

لا يرجع الفن الأمريكي المقتبس من أوربا لأكثر من وصول الأسبان إليها . وبدت أول مظاهره في تشييد الكنائس التي تميزت بضخامة مظهرها وطرازها الباروكي مع بساطة الزخارف وقلة النقوش ، على نقيض ما كان جارياً في تلك المرحلة الزمنية .



ش ١ — مبنى مصلحة التليفون في نيويورك

كما أنها عند ما شملت شيئاً من التحلية كانت ضعيفة إلى حد لا يتناسب مع التصميم الإنشائي .

وأول المباني الضخمة « الثقيلة » كانت بسان فرانسسكو وتولا Tula التي تمت بين سنتي ١٥٤٠ و ١٥٦١ وبعدهما كنيسة مريدا Merida المقببة التي تم تشييدها سنة ١٥٩٨ ، ثم الكاندرائية الهائلة بمكسيكو (١٥٧٣ — ١٦٥٦) بمنارتيها اللتين بلغ ارتفاعهما نحو الستين متراً .



ش ٢ — عمارة بيركشاير في نيويورك

ولعل كنيسة لاجوس الباروكية الطراز (١٦٤٩) وكنيسة شايهواهوا (١٧٨٩) توضحان لنا أثر الفن الأوربي الإسباني وتطوره في أمريكا .

وبدأ تطور الطراز المعماري تطوراً شاملاً منذ القرن الثامن عشر ، فاتجه الميل إلى إهمال الزخرفة واعتبارها عملاً يضيع الوقت والمال ، وظهرت الرغبة في تبسيط البناء ، إلا أنه بالنظر إلى اتساع الأراضي وقلة ازدحام السكان ورخص التشييد لخلوه من كثرة النقش والتحلية ، فإن الضخامة والثقل ظلا على حالها الأول وحافظا على مكانتيهما من نفس المهندس المعماري . وخير مثل نسوقه لهذا مباني سان فرانسسكو وساجراريو متروبوليتانو في مكسيكو وكتدرائية ليون .

ولم يكن هذا المظهر منحصراً في الكنائس وحدها ، بل كان شاملاً للمباني العامة والمباني العادية ؛ فترى السراى الأهلية National Palace التي يرجع تاريخها إلى عام ١٦٩٢ بواجهتها التي يبلغ طولها مائتي متر ، وسراى البلدية (١٧٢٠ — ١٧٢٤) ومدرسة برج (١٧٩٧ — ١٨١٣) في مكسيكو ، خالية كلها من النقوش والزخارف التي تعتبر في « الدنيا القديمة » ضرورية لتجميل البناء

وأهم كنائس جنوب أمريكا كنيسة كوسكو التي بدأ إنشاؤها سنة ١٥٣٧ وكنيسة ريودى جانيرو ، وباهيا ، وبونس أيرس ، وليما ، وسانتياجو حيث توجد الكاتدرائية العظيمة (١٦٤٧ — ١٧٤٨) ، واختلف المجموع الإنشائى فى كل منها اختلافاً يحتاج إلى التفصيل الذى لا يتسع له المجال لاتصاله بأصول العمارة .

وقد لوحظ أن فن العمارة الذى انتقل من انجلترا وهولاندا والتى يذكرنا مظهرها الإنشائى العام بالتصميمات التى حملت طابع المعمارى الإنجليزى كرستوفوررن فى لندن ، وكذلك بيت البلدية فى بوستون والبيت الأبيض فى واشنجطون ، كلاهما حمل مظهر البساطة والرغبة فى جعل المبانى عملية أكثر منها فنية ، فكانت متأثرة بالفن الهولاندى المجرد .

أما فى القرن التاسع عشر فقد كان تأثير العمارة الأوربية أعم



ش ٣ — منظر عام لجزء من نيويورك الحالية مأخوذ من الطيارة

إلى أمريكا كان أميل إلى الناحية العملية منه إلى الناحية الفنية لجملة أسباب ؛ منها أن الذين هاجروا إلى « الدنيا الجديدة » كان معظمهم ممن ضاق بهم العيش فى بلادهم ، أو من الذين اتسع لهم مجال التبسيط على اعتباره تجديداً ، فضلاً عن المعاش والرغبة الصادقة فى الاستغلال السريع . أما الإسبان الكاثوليك فقد ظلوا سائرين فى اتجاههم المعمارى الذى مال إلى الزخرفة والتنميق ؛ فترى فى المدن الجديدة التى منها ساناتيافو أمثلة عدة تؤيد ذلك .

وبينما اتجه الفن المعمارى فى الجنوب اتجاه البلاد الكاثوليكية كما هو الحال فى كاتدرائية نيو أورليانز (١٧٩٢ — ١٧٩٤) التى لا يخرج طراز بنائها عن كونه خليطاً من العمارة الكلاسيكية الفرنسية والعمارة القوطية إلماماً ؛ نراه اتجه فى الشمال نحو البعد عن الزخرفة والميل إلى تبسيط الواجهات . وهذا يؤيده ما يلاحظه المشاهد المدقق على كنيسة كرست فى فيلادلفيا التى تم بناؤها سنة ١٧٢٧ وأكبر ، وذلك بالنظر إلى كثرة المعماريين الذين ذهبوا إلى أمريكا .

وقد ظهر أثر الفن الكلاسيكى على أشده فى البناء الرائع المسمى كابيتول واشنجطن (ش ٤) الذي ابتدأ بناؤه سنة ١٧٩٣ والذى جعلت أعمدته من الطراز الكورنثى [1] والتى أقيمت فوق أعتابها القبة فارتفعت عن الأرض تسعين متراً . على أن هذا البناء ليس الوحيد من نوعه الذى حمل هـذا الطابع وهذه الروعة ؛ فهناك مشيدات أخرى مثـل بيت الاختـراعات Patent Office فى واشنجطون ودار الجمرك فى بوسطن وفى نيويورك وغيرها فى فيلادلفيا ، كلها شاهد على هذا الاتجاه .

ونجد أيضاً أثر الطراز الرومانتيكي ظاهراً فى التكوين الشكلى العام للكنائس وغيرها من المبانى الجديرة بالاعتبار . وهذا لا يمنع من أن تكون كاتيدرائية باترِكس فى نيويورك على الطراز القوطى

(١) راجع مقالنا (أكروبوليس أثينا) بالرسالة

التأخر وعلى جانب من عظمة المظهر ، ولو أنها بدت فى مجموعها نحيفة التكوين بالنسبة للمألوف فى هذا الطراز . وعلى نفس المنهج بنيت كنيستا ترينيتى وتوماس وغيرها فى نيويورك وكان الواضع لتصميمها المعمارى الانجليزى أبجون Upjohn .

ولا نذكر كنيسة كانت على جانب عظيم من روعة الفن الخالص سوى كاتيدرائية « جميع القديسين » All Saints (ش٢) التى كانت ولا تزال ضيقة المساحة ، وهذه الروعة تتلخص فى دقة التعبير عن الطراز القوطى المبكر .

ولعله جدير بالذكر أن المبانى التى تجلى فيها الطراز الرومانتيكى هى كنيسة هولى كوميونيون فى فيلادلفيا وردهة كاتيدرائية ترينيتى السابق ذكرها ، وكنيسة نيو أولد ساوث بمنارتها التى تأثرت بالفن الإيطالى فكانت مثلاً جيداً له فى أمريكا .

أما فى المبانى العامة فبرلمان أوتاوا فى كندا وكابيتول الدولة فى هارتفورد والمكتبات فى بورلنجتون وورن ، وكاونتى كورت هاوس فى بتسبرج ، ومتحف الفن فى سنسناتى ، والناشيونال أكاديمى التى تذكرنا كثيراً بقصر الدوج فى فينيسيا ، ومتحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك ..كل هذه آيات بينات لفن البناء الأوربى فى أمريكا ، كما أنها خير دليل على الغنى الفنى المعمارى والمقياس الصادق لتقدير الفن الخالص .

ومن الغريب أن أمريكا لم تقتبس من فن « عصر النهضة » شيئاً يذكر ، ولكنه يخيل إلينا أن الرغبة العملية كانت لا تزال الحائل بين العمارة وبين الاقتباس . ولهذا السبب نجد أن الحلقة الفنية المعمارية ناقصة . وذلك ما انبنى عليه عدم وجود الرابطة بين الطرز السابق اقتباسها وبين المسلك المعمارى الذى مثل الضخامة والبساطة فى المظهر .

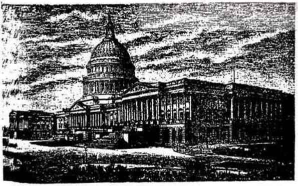
وهذا بلا شك سبب جوهرى فى الانتقال المفاجئ من عمارة القرون الوسطى من حيث « الثقل والضخامة » كما هو الحال فى كابيتول الدولة بنيويورك إلى عمارة بيت البلدية فى فيلادلفيا ، التى كان المنهج فيها مشابهاً لما اتبع فى بناء اللوفر ، هذا فضلاً عن منارته التى تعد أعلى منارة فى العالم . وهذا نفسه نعاينه فى مبانى بيوت الدولة والمكتبات والمحطات والمتاحف ودور التمثيل وغيرها من حيث اتساع مساحاتها وكبر أحجامها — ولكنها مع هذا الاعتبار ضئيلة القيمة المعمارية الفنية لما بدا عليها من مظاهر البساطة وقلة التنسيق .

وحتى القصور والفيلات فى « الدنيا الجديدة » بنيت دون قيد فنى أو شرط من شروط الجمال العام ، فهى لا تخرج عن كونها خليطاً من طرز مختلفة تجاورت وارتفع بعضها وانخفض البعض الآخر فظهرت خالية من الجمال ؛ هذا فى بيوت شيدها عظماء القوم الذين يظن غالباً أنهم أدرى من غيرهم بأصول الجمال ، أو على الأقل ممن لا عذر لهم فى وجوب العمل على تشجيع الفن أيا كان نوعه .

من هذه الاتجاهات المختلفة وعلى ضوء هذا الخلط وعدم التقيد بقاعدة معينة أو فن معروف بدأت فاتحة اتجاه جديد فى أمريكا ، هذا الاتجاه هو إشغال أصغر مساحة من سطح الأرض بأكبر عدد ممكن من طبقات العمارات والبيوت ، وساعد على ذلك عدم إمكان التوسع فى مساحة مدينة واحدة أكثر من المعقول ، إذ لا يجوز أن تسافر ساعتين من طرف إلى الطرف الآخر فى مدينة واحدة ، هذا إلى جانب نمو عدد السكان نمواً هائلاً .

وأولى هذه العمارات بيت بير كثير فى نيويورك ؛ فقد بنى من تسع طبقات ، وتدرج الحال حتى وصل إلى مائة وعشرين طبقة وأربع . وياليت الأمر وقف عند هذا الحد ؛ بل سار كل فى أعماله حسبما أراد وتبعاً لما تسمح به دولاراته ، فتجد إلى جانب ناطحة السحاب منزلاً لا يتجاوز خمس طبقات .

وبعد أن كانت أمريكا تقلد أوربا فى أول الأمر ، أصبحت



ش ٤ — كابيتول واشنجطون (تصميم والتر)

أوربا تقتبس من أمريكا وتقلدها . وطغت هذه الموجة على القاهرة أيضاً فأصبحت ترى عمارات يبلغ عدد طبقاتها عشراً وثلاث عشرة بنيت كلها متلاصقة أو متجاورة لا ينفذ إليها نور ولا هواء ، مع أننا لسنا فى حاجة ماسة إلى مثل هذا المنهج السقيم ، لا سيما وأن عدد سكانها ضئيل جداً بالنسبة إلى مدن أمريكا الكبرى ، ومساحة القاهرة أكبر نسبيا من مساحة تلك المدن .

(له بقية) أحمد موسى

صوت الآنسة أم كلثوم

من الوجهة الفنية

يعتبر صوت أم كلثوم أجمل وأكمل وأقوى صوت نسائي في العصر الحديث . ولعله أخلد الأصوات جميعاً في تاريخ الطرب بعد صوت (ألمظ) زوجة عبده الحمولي ومطربة الخديو إسماعيل .

فهو يمتاز بتكوين سليم لاعيب فيه ، وبضبط نسب مقاماته ضبطاً محكما لا يحتاج لشرح ولا تحليل لأننا جميعاً نسمعه .

فهو غني بتريولاته (ذبذباته) التي تفعل في النفس فعل السحر أو أكثر، والتي تعطي السامع لوناً لامعاً ونبرة صافية غنية بكل الدوافع التي تسلب الإنسان حسه ونفسه .



يتكون من (دوانين) تقريباً. وهو من نوع (الكونترآلتو) (والميزوسبرانو) ويبلغ ١٥ مقاماً تقريباً (١٢ كونترآلتو) و (٣ ميزوسبرانو)

أم كلثوم أقوى مطربة في الشرق ، تتصرف في عقود النغم وعنصره تصرفاً فنياً سليماً . فهي مثلاً تتصرف في العقد الأول (بياتي ذي الأربع على الدوكة) وتتصرف في العقد الثاني (راست ذي الأربع على النوى) ، كذلك عشاق ذي الأربع على النوى ، والحجاز ذي الأربع على النوى ، وتهبط من البياتي ذي الأربع على الدوكة (نغمة السكارجهار)

وكل هذا لا يخرج عن عقود النغمة وعنصرها ولا يؤذي أذن السامع بل يصور له ذوقاً رفيعاً سامياً في التصرف ، وفي تذوق النغم وفهمه .

وهي أقدر المطربات قاطبة في فن الإلقاء ، وفهم الغناء ، وإعطاء كل كلمة المعنى الذي يترجمها ترجمة صادقة . وأكبر الظن أن هذا يرجع إلى أنها اشتغلت كثيراً مطربة ومغنية (للقصائد النبوية) في المدائن والقرى .

تجيد كل ما تغنيه : في الطقطوقة ، والدور ، والتوشيح ، والمنولوج ، والقصيدة ، لا تستطيع أن تسمو في ناحية على الأخرى ولا في نوع على نوع ، لأن التوفيق يأبى إلا أن يلازمها في جميع ما تغني .

تدين للملحنين بكثير من مجدها ، وإن كانت هي لا تحب أن تعترف بهذا

تعزف على العود ، وتفهم في علم النغم ، وتلم إلماماً بسيطاً ببحور الشعر وقوافيه .

سننتظر طويلاً حتى نجد صوتاً كصوتها ، وتصرفاً كتصرفها ، وذوقاً فنياً كذوقها .

محمد السيد المويلحي



رسالة الشعر



جيش أســـامة

للأستاذ أنور العطار

ضجَّ مَهد الصحراء بالتغريد   وسَرى النور فى رمال البِيد
هو ذا فى غَيَابة البعد خطٌّ   ينجلى من سَرابها المعقود
سال ذَوْبُ النضار فى مصحف الأفْ
ق فزان الدنيا بحُلم رغيـــد

نَهَرٌ من هــــداية يتلوى   فى فضاء رحْب المطاف مديد
ضم فى شاطئيه صَبَابةَ العُرْ   ب وبأس المرَسين الصِّيد
والأمـــير الفتِىّ يَدرع البيـ   ـد بجيش من الكماة عديد
رفرفت رايةُ النبى عليـــه   ورعته بالنصر والتأييـــد

مَن هو القائد الفتِىّ وما يَنْ   شُد فى قصده الطَّرُوح البعيد
ولمن هذه الزُّحوف تَوَالى   كوفود تنهلُّ تِلوَ وفود
يقدُم الفيلقَ الذى أفزع القفـ   ـر وهز النجود إثر النجود
تتمشى فى سُبْله البيد نشوَى   ثملاتٍ برملها العِربيـــد
يا صحابى هذا (أسامة) يختا   ل بِبُرْد من الشباب نضيد
رأس الأكرمين وهو ابن عشريـ   ـن بعزمٍ ماض ورأى سديد
وعليه جراءة الاسَـــدِ الوَرْ   د وتحديقةُ العُقاب الصيُود
يا له قائماً نعتــــه البطولا   ت وألقت إليه بالاقليـــد
والبطولات شعلة الأمل السا   طع فى ظلمة الليالى السود

حدث النفس وهو يحلم جذلا   ن بنصر دانى القطوف عتيد
إيه يا نفس لا ترُعْكِ المنايا   فالمنـــايا أمنية الصنديد
أطلبى المطمحَ القصىّ مداه   ودعى الضعف للجبان الرَّقود
واذكرى نائماً (بمؤتة) باع النـ   ـفس زُلْفَى رب البرايا الحميد
وانهضى للجهاد فى نصرة الحـ   ـق وبثي رســـالة التوحيد
ودعى اسم النبي تعبقْ به الدنـ   ـيا وترتع فى عالم من سعود

وتلاقى الجمعان فارتجت الأر   ض وغابت فى العاصف المشهود
هل رأيت الأتِىّ يُزبد جيَّا   شاً ويرمى الجلمود بالجلمود
وتعالت فى القفر تكبيرة اللـ   ـه فدوَّى الوجود بالتحميد
ثبت المسلمون فى لقية الرو   م وغاصوا فى القسطل المزرود
وفرَوهم بكل ماض صدوق   كصباح يفرى الدجى بعمود
لا يُرَى منهمُ ضحى اليوم إلا   آيسٌ من نجاته أو مُود
وأسودُ الصحراء قد غنموا النصـ   ـر وفازوا بالمأمل المنشود
مَنْ يُرِدْ فرحة النعيم المرجى   يصدق الله فى ظلال البنود

الصحارى يا سحر هذى الصحارى   آيةُ الله فى كتاب الوجود
ثورة الشمس فى خِضَمٍّ من النو   ر سحيق نائى المرام عهيـــد
الأراذىُّ فى حماها تَنَزَّى   قاذفات باللاهب الموقود
يا لها الله من جحيم تَلَظَّى   تخطف الروع من جنان الجليد
هى للائذ المحب أمانٌ   وهى للغاصبين نار الوعيـــد

أى زهو تثيره هـــذه البيـ   ـد بقلب بحبهـــا معمود
نهض الفجر فى حماها بهيا   حافلا بالسنا النقىّ الفريد
عانقتها الأضواء في هبة الصبـ   ـح فأزرت باللؤلؤ المنضود
سكبت فى فضائها المسجد الصر   ف وحلَّتْ أفياءها بالعقود
أشرق اليمن من محاريبها الزُّهـ   ـر ومحرابها محط السجود
ها هنا يا صحابتى معبـــد اللـ   ـه على غابر الزمان الأبيد

لله... !!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« سألتنى القوت حسناء ، وهى
لا تدرى أنى ... شاعر ! »

مَالى أرَاكِ الْيَوْمَ ؟... نَارُ الضَّنَى
تَـكَادُ مِنْ عَيْنَيْكِ تلْقِي الشَّرَرْ !
رُفَاتُ نُورٍ فِيهما لِلْمُنَى   رَغْمَ الْمَآسِى عَبْقَرِيُّ الْحَوَرْ
ونَعْشُ أَحْلَامٍ طَوَاهُ السَّنَا   وَسارَ ... لا يَعْلَمُ أَيْنَ الْمَقَرْ
أَيْنَ ؟ ! وَلَمْ تُبْقِ اللَّيَالِي بِنا   مِنْ رَحْمَةٍ تَأْسُو جِرَاحَ الْقَدَرْ
لا تَنْدُبِيهِ عِنْدَنَا ... إِنَّنَا   أَقْسَى قلوباً مِنْ صَفَاةِ الْحَجَرْ !

والصَّوْتُ..ماذافى صَدَى نَبْرِهِ؟   أنينُ ثُـكْلٍ أَمْ تَشاجِى يَتِيمْ ؟!
شَاكٍ أَذَابَ الرُّوحَ فى جَمْرِهِ   لَـكِنَّهُ رَغْمَ التَّشَـكِّى رَخِيمْ
سَاقٍ مَضَى بِالدَّمْعِ فى دَهْرِهِ
يَسْقِى الْحَزَانَى مِنْ شَرَابِ الْجَحِيمْ
لَوْ طَافَتِ الدُّنْيَا عَلَى خَمْرِهِ   لَمَا صَحَا فى الْبُؤْسِ مِنها نَدِيمْ
لَـكِنَّهَا صَمَّاء عَنْ سِحْرِهِ ...   مَا يَفْعَلُ الشَّاكِى لِسَمْعٍ لَئِيمْ ؟!

* * *

وهٰذِهِ الْـكَفُّ الَّتِى ما بَرَى   مِعْصَمَهَا الْبارِى لِغَيْرِ السِّوارْ !
بَيْضاء كالزَّنْبَقِ فَوْقَ الثَّرَى   أَلْقَتْهُ رِيحٌ فى هَجِيرِ الْقِفَارْ
الذُّلُّ سَوَّى حُسْنَهَا مِنْبَرا   يَهْتَزُّ بِاللَّيْلِ فَيُبْكِى النَّهارْ
والنَّاسُ مَلُّواشَدْوَهُ... يَا تُرَى   لِمَنْ يُنَادِي يَاتُرَابَ الدِّيَارْ ؟
سائِلَةَ الْقُوتِ بِهَـذَا الْوَرَى   كُفِّى ... فما تَلْقَيْنَ إِلاَّ الْخَسارْ !

* * *

الثَّغْرُ رَفْرَافُ الْهَوَى لِلْقُبَلْ   لَـكِنَّها ذابَتْ عَلَى بُؤْسِهِ
والصَّدْرُ نامَتْ فى أَسَاهُ الشُّعَلْ   وَاهْتاجَ لِلْقُوتِ لَظَى حِسِّهِ
والسِّحْرُ فى الْأَجْفان يَنْعَى الْأَمَلْ
وَيَسْأَلُ الْخَيْبَةَ عَنْ رَمْسِهِ !
بِنْتَ الطَّوَى اذْوِى بُكاءً وَهَلْ   يَوْمُكِ إِلاَّ مِنْ صَدَى أَمْسِهِ !
الدَّهْرُ بِالرُّكْبَانِ لَاهٍ ثَمِلْ   والْحَظُّ مَطْوِيٌّ عَلَى نَحْسِهِ !
سأَلْتُها : ما بالُ هَذَا الْجَمالْ
أَسْيَانُ فى الدُّنْيَا ، حَزِينٌ ، لَهِيفْ ؟!
ماتَ الْهَوَى فى ظِلِّهِ والدَّلالْ   وفِتْنَةُ اللَّمْحِ ، وسِحْرُ الرَّفِيفْ
وَاصْفَرَّ حَتَّى عادَنِى فى الْخَيالْ   رَيْحَانَةً أَبْلَى شَذَاهَا الْخَرِيفْ
قالَتْ: مُحاسِرِى ذُلُّ السُّؤَالْ   وَخَيْبَةُ الْحَظِّ لِحُسْنِي الْعَفِيفْ
إِنْ قُلْتُ : قُوتاً ! قالَ إِثْمُ الرِّجالْ :
بِالْعِرْضِ لاَ نَبْخَسُ حَقَّ الرَّغِيفْ !

محمود حسن اسماعيل

ها هنا مشرق النبوة ، مهوى الـ   ـخير مجلى الحلم السنىّ السعيد
ها هنا دارة الهناءة والبشـ   ـر وما شئت من سخاء وجود
ها هنا البأس والجراءة والحز   م ومستعصم الفخار الوطيد
ها هنا معقل المطارفة الغـ   ـر ومستوطن العلاء التليد
ها هنا السيف صورة الأمل البكـ   ـر وترنيمــة الشجاع النجيد

وعلى البيد صورة تبهر العيـ   ـن جلالا بسحرها المسرود
طوّف الدين ساحها ثم أسرى   يغمر الكون بالضياء الجديد
أعجم الرمل يملأ الأرض تسبيـ   ـحاً بشــدو محبب مودود
هدهــدته قيثارة تتغنى   بلحون قدســية الترديد
جازه العُرْب فى مواكب للنصـ   ـر تفادى على اللواء المجيد
أذن الله للصحارى فماجت   ساحتاها بقاحمين أسُود
يا جنود الحق المبين سـلام   أنتمُ للعــلاء خير جنود
بكم عزت الحنيفة فى الكو   ن ونالت شأو المرام البعيد

فتحوا الأرض فاستقادت لفتح   ناصع كالسماء هاد رشيد
غيرهم يفتحون للذل والعا   ر وهم للعــلاء والتشييد
ثم دال الزمان من ناسه الغـ   ـر فقرت سيوفهم فى الغمود
واستكانت إلى الكرى فعليها   صدأ الدهر من طويل الهمود

« بغداد »   أنور العطار



الدمـــــوع

مترجمة عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان ريكاردس أرملاً يعيش مع ابنته الوحيدة . وكان كثير التنقل من مسكن إلى مسكن ، ولكنه لم يترك لوندرا فى وقت من الأوقات . وكانت المساكن التى يقيم فيها من النوع الحقير الذى تؤجر فيه كل غرفة على حدة ، وتدفع أجرتها مقدماً

وكان كثيراً ما يلجأ إليه المجرمون للاستشارة ، فيفتيهم بما يدفع عنهم العقاب أو يجد لهم الوسيلة للخلاص . ولكنه هو نفسه لم يكن مجرماً ، وإن اعتمد فى رزقه عليهم وعلى مؤلفات صغيرة يضعها عن المجرمين والإجرام

كان أكثر زواره من طبقة الحدادين والنشالين واللصوص المبتدئين وخدم المنازل . وكانوا يطلقون عليه لقب (العلامة لتفننه فى ضروب الحيل)

وكان يقول لهم إنه قضى الشطر الأول من شبابه طالباً فى جامعة اكسفورد ، وإن له أصدقاء من بين الوزراء واللوردات . وكانوا يجدون أمامه كما زاروه أكداساً من الكتب ، ومجاميع من صور العظماء . وكانت بنته فيوليت ذهبية الشعر جميلة العينين رشيقة القد . وهى تقوم فى المنزل بكل أنواع الخدمة ، من الطبخ إلى الكنس إلى مشترى الحاجات من السوق . وكانت زكية نشيطة ، وقد بدأ أبوها يحد من حريتها ويراقبها مراقبة شديدة لما بلغت عامها الرابع عشر . وذلك لأنه لاحظ أن بعض زواره كانوا يغمزونها بألحاظهم، وظن أنها كانت تنتهز فرصة يكون فيها غافلاً فتبتسم لا حدهم . وقد لاحظ مرة أو مرتين أنها تركته فى أثناء حديث له معتذرة بعذر من الأعذار . ولكن اتضح أن العذر مكذوب ، وأنها خرجت لتحادث أحد الشبان على السلم

وكان فى مثل هذه الحالة يغضب ويحتد ويطرد زائره ويأمره بعدم العودة ، ثم يستدعى فيوليت فيأمرها بملازمة حجرتها

وفى يوم من الأيام استأذنته فيوليت فى الذهاب إلى السينما مع أحد أصحابها فقال : « كلا لا تذهبى »

قالت : « حتى ولا مع سوانى جيمز ؟ » . فقال : « لا تذهبى مع أى إنسان »

قالت وقد بدا عليها ما يبدو على سائر الفتيات فى حالة العناد : « ولكننى أريد أن أذهب فلماذا تمنعنى ؟ » فقال : « لأنى آمرك بعدم الذهاب »

فهزت رأسها الجميل الشعر وقالت : « هب أننى ذهبت بالرغم من منعك ؟ » . فقال : « إذن أضربك عند عودتك »

قالت : « وهب أننى لا أعود إلى المنزل ؟ » . ثم اغرورقت عيناها الجميلتان بالدموع وقالت : « هب أننى ألقيت بنفسى تحت الترام أو القطار أو فى البحر ؟ »

فهز العلامة كتفيه وأجابها بجواب خشن . واعتادت أن تسكت عند مثل هذه الحالة وتكف عن مطالبته بالذهاب

ولكن لا يحسب القارئ أن معاملته إياها كانت خشنة على الدوام ، فقد كان كثيراً ما يلاطفها خصوصاً إذا شرب وانتشى ، ويصفها بأنها عزاؤه وتسليته ويقول لها إن أمها أوصته وهى تموت بأن يعنى بها، وإنه لهذا السبب يحرص عليها ويبذل من أجلها كل ما يستطيع ، وإنه إذا منعها عن جيمز وأمثاله فإنه يعلم أن أمثال هؤلاء سيجرون إليها المتاعب فى المستقبل، وإنه سيجد لها الزوج الكفء فى الوقت المناسب

لكن كل شيء من هذا قد ذهب وفات أوانه وأصبحت فيوليت في السابعة عشرة فلم يعد يستطيع تهديدها بالضرب ولم تعد تجدي معها النصائح ، فإذا ما أراد إرغامها على رأيه هددت بالانتحار فيضطر إلى الإذعان . ولم يعد له من سلاح غير لسانه الذي يلجأ إليه في قليل من الأحيان

وكانت في هذه الحالات تلجأ إلى الدموع

ولما تجاوزت العام السابع عشر وجد أبوها وسيلة جديدة للرزق هي إرسال خطابات يطلب فيها المساعدة من كبار المؤلفين والكتاب وإلى من يقيمون من أنفسهم مقام الرعاية لحملة الأقلام. وكان يقول في خطاباته إن حرفة التأليف كسدت في مدة الحرب وفي العهد الذي تلاها، وإنه يرتزق من قلمه، وإنه لا يملك حتى طابع البريد الذي يرسل به الخطاب، وإنه لذلك يبعث به مع ابنته الوحيدة فيوليت .

ثم يسلم الخطاب إلى ابنته ويأمرها بأن ترتدي أقدم ثيابها وتضع في كفيها قفازين باليين ، ويبحث في فهارس الكتب عن أسماء المؤلفين وعناوينهم ، ويوصي ابنته بأن تتصنع الكآبة وتزعم أنه ليس في المنزل طعام وبأن تقلل معهم من الكلام بقدر المستطاع

قالت : « وهل أقول ليس في المنزل شراب أيضاً ؟ » فقال : « إياك أن تذكري اسم الشراب ، ولتتقي حتى يسلم إليك الرد »

وفي أول مرة كلفها بذلك ذهبت وعادت فوضعت أمامه عشرة جنيهات فاستخفه الطرب وقال : « كيف أمكنك الحصول على كل هذا ؟ »

فقالت: «لقد فعلت كما أمرتني ، فأبى الرجل أن يعطيني شيئاً ولكني بكيت »

قال : « بكيت ؟ كيف ؟ هل آذاك ؟ »

فقالت : « كلا »

قال : « ولكن كيف تبكين ؟ هل تأثرت من ذهابك بهذه الرسالة ؟ » فقالت : « كلا يا أبي ، ولكني وجدت البكاء وسيلة لتنفيذ المهمة التي ذهبت من أجلها »

قال وقد بدت عليه علائم الراحة والاطمئنان : « خبريني يا فيوليت . هل في استطاعتك البكاء كلما أردت ؟ » . فقالت : « نعم . فإن معاملتك إياي منذ الصغر سهلت عليّ اصطناع البكاء »

فلاطفها وواساها وقال : « تعالى يا ممثلتي العزيزة . إنني أهنئك بمستقبل باهر »

وكان ذلك اليوم بداية عهد جديد ترك فيه العلامة إفتاء المجرمين وترك حرفة التأليف ، وعكف على تحرير الخطابات وإرسال ابنته بها ولقد أغنته هذه المهنة فأيسر ، ولكنه ما زال عاكفاً على إرسال الخطابات

وفي يوم من الأيام جاءت إليه الخادم بخطاب وقالت : إن الفتاة التي حملت هذا الخطاب تنتظر مقابلته بالباب . فقال : «أسمعيني ما في خطابها» فقرأته ، وهو خطاب من مؤلف كسدت سوق بضاعته ، وليس في منزله طعام ، ويريد مساعدة مالية لا تقل عن عشرة جنيهات

قال ريكاردس : « أطردي التي جاءت بهذا الخطاب » . فقالت الخادم : « أخشى يا سيدي ألاّ يكون هذا في استطاعتي . إنها تبكي وحالها مؤثرة جداً ، وتقول إنه ليس في منزلها طعام » قال : « اطرديها . فماذا يلجأ إليّ من أرسلها ؟ عنده نقابة المؤلفين ، وعنده الجمعيات الخيرية المختلفة »

فخرجت الخادم وهي تفكر في وحشية سيدها الذي يأمر بطرد فتاة مسكينة لا تجد هي ولا أبوها القوت الضروري . ثم عادت فقالت: إن الفتاة أبت أن تنصرف ، وألحت عليه أن يقابلها. فنزل ريكاردس ووجد الفتاة في ثياب سوداء وفي يدها قفاز كله ثقوب . وبكت أمامه بدموع حارة ، وأقسمت بصوت متهدج ، أنه ليس في منزلها قوت . فاضطر ريكاردس أمام هذه الدموع إلى إعطائها خمسة جنيهات »

وربما أدرك القارئ أن تلك الفتاة لم تكن سوى فيوليت متنكرة ، وقد غيرت صوتها ، وأنها تمثل أمام أبيها نفس الدور الذي كان يرسلها لتمثيله أمام الناس

وفي يوم قريب من هذا الحادث طلبت فيوليت إلى أبيها أن يأذن لها بالذهاب مع جيمز للنزهة. فأبى وأصر على إبائه، وأطاعته وقد كظمت غيظها وأصرت على فكرتها

في عصر ذلك اليوم سلم إليها أبوها خطاباً إلى أديب كبير في ضاحية من ضواحي المدينة لأنه كان قد استنفد أسماء المقيمين فيها، فذهبت لأداء هذه المهمة بعد أن زارت مكتب أبيها وأخذت منه أوراقاً

وانقضى اليوم ولم تعد ، وانقضى اليوم التالى كذلك ، وكاد أبوها أن يجن ، وأشيع أنها تزوجت من جيمز وأنها تقيم معه فى منزل قريب من منزل أبيها

وتفقد مكتبه فوجد كيس نقوده مفقوداً ، وكذلك دفتر مذكراته الخاص وبيان طويل بأسماء المؤلفين وعنواناتهم ، فكان حزنه على البيان والدفتر أكثر من حزنه على المال المفقود لعلمه أن هذين هما مصدر ثروته . وأدرك أنها ذهبت إلى جيمز لتؤدى له الخدمة التى كانت تؤديها لأبيها فامتلأت نفسه بالأحقاد على هذا المزاحم

وبعد أسبوع واحد تقابل ريكاردس وجيمز فى الطريق فأمسك الأول بتلابيب الثانى ، وطلب إليه أن يرد ابنته أو يسوقه إلى البوليس، لأن فيوليت لم تبلغ العام الحادى والعشرين فلا حق له فى الزواج منها إلا بإذن أبيها . وقال إنه إما أن تكون معاشرته إياها سفاحاً معاقباً عليه لعدم بلوغها تلك السن ، وإما أن تكون متزوجة بعقد مزور

قال جيمز : « إذن فلنذهب إلى البوليس وأنا مستعد للعقوبة إن كان ثمت عقوبة ، ولكنى سأقدمك للمحاكمة وعندى الأدلة بخطك من دفتر مذكراتك ، ومن بيانك بأسماء المؤلفين . وسأقول إنك تعيش من أموال تحصل عليها بطريق النصب لأنك تطلبها بأسباب غير صحيحة ؛ وبنتك تشهد عليك »

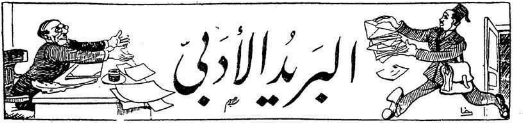
لما سمع ريكاردس ذلك وجف قلبه وفتر تحمسه وترك خصمه وذهب قانعاً من الغنيمة بالإياب

وفى اليوم التالى نشرت الصحف إعلاناً هذا نصه :

« رجل من المشتغلين بالأدب متقدم فى السن يريد أن يتبنى فتاة يتيمة فى السابعة عشرة من العمر . العنوان : صندوق البريد رقم ٧٣١٥ »

وليس فى استطاعتى إلا أن أفهم أن صاحب هذا الإعلان هو ريكاردس وأنه يريد الاستعاضة باليتيمة عن بنته وممثلته فيوليت .

عبد اللطيف النشار



الدكتور طه حسين فى ذكرى الأستاذ صادق عنبر

دعت (رابطة الإصلاح الاجتماعى) جمهوراً كبيراً من رجال العلم والأدب والصحافة إلى حفلة أقامتها بدار الجمعية الجغرافية الملكية بمناسبة مرور عام على وفاة المرحوم الأستاذ صادق عنبر .

وقد افتتح الحفلة الأستاذ أنطون الجميل بك بكلمة بليغة ثم تعاقب الأدباء والعلماء من أصدقاء الفقيد وتلاميذه والمعجبين بأدبه ، فتكلم الأستاذ جاد المولى بك عن شخصيته ، والاستاذ الهمياوى عن أدبه ، وألقيت قصيدة للأستاذ الكاشف ، وألقى الأستاذ محمود بيرم التونسى زجلاً رقيقاً ، والشاعر الشاب أحمد عبد المجيد الغزالى قصيدة

وكانت الحفلة تليق بذكرى الفقيد الراحل وتدل على أن الأديب يعيش فى أدبه العالى ويمتد عمره فى أصدقائه الخلصاء

وهنا مسألة لا بد من الإشارة إليها ، فقد ذكر الأستاذ الهمياوى أن الأستاذ صادق عنبر هو الذى كان يكتب تلك المقالات المعروفة فى نقد النظرات للمنفلوطى ، وأن الدكتور طه لم يكن له فيها إلا الإمضاء ؛ وقد أيده الأستاذ عبد الرحيم بن محمود فى هذه الدعوى الجريئة ؛ وأذكر أن كاتباً كتب مثل هذا الكلام منذ سنوات فى مجلة الزهراء

ونحن بشهادة العيان ننكر هذه الدعوى أشد الإنكار ، لأننا كنا مع الدكتور ساعة كان يمليها ويدفع بها إلى الجريدة ، وقد ذكرنا فى بعض مقالاتنا أسباب ذلك . ولا ندرى كيف يسيغ العقل هذا والدكتور طه كان يومئذ أقل من الأستاذ صادق عنبر سناً ونفوذاً وشهرة . وما الحكمة فى أن يكتبها الأستاذ عنبر ويمضيها الدكتور طه وذاك موظف فى جريدة (العلم) وهذا أجنبى عنها ؟ إن الدكتور طه يأبى عليه طبعه أن يضع اسمه هذا الموضع ، وإنا لنعلم أنه نحل كثيراً من الناس مقالات وبحوثاً وكتباً نالوا بها الشهادات والدرجات والثروة

فلم « الدكتور »

تعرض « شركة مصر للتمثيل والسينما » هذه الأيام فى مدينة القاهرة شريطاً مصرياً محضاً عنوانه « الدكتور » . وبعيد أن أقف هذه الكلمة على العرض والوصف والبحث ؛ فإنما الذى فى نيتى أن أحدث قراء هذا الباب من « الرسالة » عما خلص لى من قصة « الدكتور » . وذلك لأن الذى يعنينى من المظاهر الأدبية والفنية فى مصر إنما يرجع إلى الناحية الاجتماعية خاصة

أما تمثيل القصة فيدلنا على أمرين : الأول مهارة الممثلين المصريين فى فن « المهزلة » Comédie (مثلاً مختار عثمان وفؤاد شفيق) ، ولن أنسى ساعة يدخل الخادم الريفى على الباشا وزوجه فيجرى حديث صامت يُضحك المصلوب . والسبب فى ذلك أن التمثيل فى مصر قام — أول ما قام — على المسرحيات الهزلية ، وأن سليقة المصرى إلى الخفة والظرف والمرح والمحاكاة الساخرة ميّالة . وأما فن المأساة فالمصرى لا يتقنه بعد لأنه لا يحكم كيف يمثل الإنسان ، الإنسان من غير صفة تصفه ، الإنسان على سجيّته. وتعليل هذا أنه تجذبه المبالغة فى التعبير على الغالب وتعوزه قوة الصدق فى الإحساس الدفين أحياناً

والأمر الثانى مضىّ الممثلات فى طريق الإتقان ، من حيث أنهن طرحن التكلف وسلّمن بأن التواضع فضيلة وأدركن أن الكلام الملقى مصدره القلب أو العقل لا الذاكرة ولا الدعابة « الشخلعة » ... وماضرّ الأستاذ سليمان نجيب وهو بطل القصة (مع لقب بك) لو حذا حذوهن فتحلّى بالبساطة وأطلق وجهه من الإطار الذى حبسه فيه : إطار يغلب عليه الجفاء ويطّرد فيه الانقباض مع شىء من العجب ؛ إطار يحصر ابتسامة لا تتبدّل

كأنها مسمرة به، ولا ترف لأنها على حظ من التقبض

بقيت القصة (وهى من تصنيف الأستاذ سليمان نجيب) .

ومجمل القول فيها أنها تصلح موضوعاً لخطبة يخطبها مصلح اجتماعى متطرف . وإليك فقرات من البرنامج المطبوع ، وقد ذكرت بحروفها أو بمعانيها فى أثناء التمثيل :

« فلم الدكتور صراع بين الحب العاطفى والحب الأبوى » ، « مشكلة العصر : الرجل ، المرأة : أيهما يسود » « فيلم الدكتور يعالج داء قاسياً داء التماسك بالطبقات والتغاضى عن قيمة الأشخاص » « فلم الدكتور يعيد إلى الريف المصرى مجده وعظمته ويرد إليه أبناءه الذين سحرتهم مدنية المدن وبهاؤها البراق الخداع » ، « حياة اللهو وحياة الاستقامة : أيهما أفضل » ، « حياة الترف فى الحضر وحياة البساطة فى الريف » الخ ...

يالله ما هذا الداء المتفشى فى المؤلفين عندنا ولا سيما الذين يؤلفون للمسرح والسينما ؟ يريد كلهم أن ينقلبوا وعاظاً . فهل لهم — أصلحهم الله وأبقاهم ذخراً للفضيلة ومكارم الأخلاق ! — أن يضعوا العمائم على رؤوسهم ، أو يجلسوا القلانس على مقدمها فيرتقوا المنابر ليوعدوا خلق الله أو يعدوهم ؟

ما هذا التهويل ؟ الأديب المصلح يشير ويغمز لأن الأدب فن ، أو يظن المؤلفون عندنا أن جمهورنا بليد أية بلادة حتى أنه يحتاج إلى التنبيه الصريح ؟ ثم ما هذا الادعاء ؟ هل سألهم الجمهور أن يسقطوا الفن إلى التأديب ؟ وما هذه المشكلات التى يعرضها شريط « الدكتور » ؟ الحب العاطفى والحب الأبوى ، الريف والحضر . اللهو والاستقامة . . . تلك أحاديث طريفة جداً حقاً !

ثم إن مثل هـذا اللون من القصص السينمائية الناهضة على الوعظ والنضال الفكرى يعوزه أجل العناصر شأناً : الحركة، نقاش وتدافع حجج وتبيين وتدليل ، كل هذا ربما صلح للمسرح إلا أنه بعيد كل البعد عن السينما

و « الدكتور » — على هذا — يشمل قطعاً لطيفة بفضل حذق المخرج نيازى مصطفى وجودة الموسيقى على أيدى محمد الشجاعى وعبد الحميد عبد الرحمن ومهارة طائفة من الممثلين (وقد ذكرت بعضهم فوق) والممثلات أمثال فردوس محمد فدولت أبيض فأمينة رزق . فلا عدمنا « شركة مصر للتمثيل والسينما »

على الهامش :— متى يأتى الزمن الذى فيه تزن الكلام ؟ فى البرنامج المطبوع ما حرفه : « فيلم الدكتور أروع ما جادت به قريحة مؤلف (هل هنالك غلطة مطبعية فتقرأ : المؤلف) وأعظم ما أخرجته عبقرية مخرج » (كذا) ... رحم الله هوليوود !

— كانت لغة القصة العامية على وجه الإطلاق ، بل العامية السوقية أحياناً . ومهما يكن من شىء فقد ساء أذنى قول الآنسة أمينة رزق « يا دَكتور » (بفتح الدال) و « يا دُكتر » (باختلاس الواو) . وقد يحق لها هذا اللحن لو كانت ترتدى « ملاية لَفّ » والحال أنها تنعم فى « فساتين » على جانب عظيم من الأناقة

بشر فارس

معهد للغات الشرقية القديمة والحديثة

من المسائل التى نظرها مجلس جامعة فؤاد الأول ، فى آخر الأسبوع الماضى مذكرة من كلية الآداب بمشروع قانون بإنشاء معهد للغات الشرقية

وقد قرر المجلس إحالة المشروع إلى لجنة اللوائح والقوانين لدراسته ووضعه فى الصيغة القانونية

وقد علمنا أن هذا المعهد سيضم ثلاثة أقسام : الأول خاص باللغات الشرقية الإسلامية القديمة . والثانى خاص باللغة السامية . والثالث خاص باللهجات العربية القديمة والحديثة . وربما تقرر أيضاً تدريس اللغات الفارسية والتركية والصينية

وسيقصر دخول هذا المعهد على طلاب كلية الآداب الذين يحصلون على درجة الليسانس ، وستكون مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات . والمفهوم أن تلاميذ قسم اللغة العربية هم الذين سيمونون المعهد . ولكن سيباح لطلاب الأقسام الأخرى أن يتقدموا إليه إذا تحققت فيهم الشرائط التى تستوجبها الكلية فى الطلاب

التعليم الدينى فى المدارس

قامت وزارة المعارف فى خلال العام الماضى بجهود مشكورة للتوسع فى التعليم الدينى بمدارسها ، عاملة على جعله أساساً للنهضة القومية الحديثة ، وتنشئة الطلاب على مبادئه وآدابه تنشئة تقوم

عليها تقوية الأجيال المقبلة زوحاً وعقلاً ونظاماً

وتقوم الوزارة الآن سيراً على هذا النهج بإعادة النظر فى هذا الموضوع من حيث الاعتبارات الآتية :

١ — تقدير أثر العناية التى بذلتها الوزارة أخيراً بمناهج الدين

٢ — المقارنة بين المناهج الحالية والمناهج السابقة من وجهة خطوات التعديل

٣ — الاطلاع على مبلغ عناية المدرسة وتلاميذها بهذه المادة بدراسة تقارير المفتشين

٤ — وضع بيان بالموضوعات التى يجب أن تشملها كتب الدين المقررة لمدارس الجنسين ، واختبار وفاء الكتب الحالية بهذه الموضوعات

٥ — النظر فى هل تقصر العناية بالدين على ما بين المدرس والتلميذ من تجارب يرجع إلى مقدرة كل منهما ، أو العمل على جعله مادة أساسية يمتحن فيها الطلبة فى آخر العام مثل غيرها من مواد اللغات والعلوم

وتتجه العناية أيضاً إلى اختيار مدرسى الدين من بين الذين أهلتهم ثقافتهم إلى عدم الاعتقاد بوجود تعارض ما أو جفوة بين تطبيق تعاليم الإسلام وبين مقتضيات العصر الحاضر ، وهم الذين عرفوا أسرار الدين معرفة عقلية وقلبية دون الوقوف عند حد النظريات

ويطلع كبار مفتشى اللغة بوزارة المعارف الآن على الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع لإبداء ملاحظاتهم عليها بما يلائم هذا التوسع توطئة لوضع تقرير توجيهى للعناية الواجبة نحو هذه المادة

بعثة ألمانية للأبحاث العلمية فى الحبشة

سافر فى منتصف يناير من مدينة ميونيخ عشرة من أعلام الألمان بينهم الدكتور فون سالفلد الذى اشتغل فى الجامعة المصرية أربعة أعوام ، فى رحلة إلى بلاد الحبشة وكينيا وتنجانيقا ، للقيام بأبحاث تتعلق بعلم الانتروبولوجيا وعلم الأجناس والحيوانات ، كل هذا لحساب متحف ميونيخ الطبيعى

ويرأس هذه البعثة العلامة الدكتور هارتل مار الذى سبق أن تولى رياسة مثل هذه البعثات من قبل فى أفريقيا أوالهند

ولا شك أنها ستجد كل معاونة من السلطات الإيطالية فى الحبشة

ترقية الأغانى المصرية

تقوم وزارة المعارف الآن بمشروع هام لإصلاح ناحية لها خطرها فى النهضة الاجتماعية العامة عند الشعب ، وهى ناحية الغناء والموسيقى . فقد لوحظ من زمن بعيد أنه على الرغم من الخطوات الواسعة التى خطتها مصر فى سبيل مجدها وقوتها وثقافتها فإن الجانب الفنى منها، والجانب الغنائى على الأخص، لا يزال متأخراً عن الهدف الرفيع الذى تتمشى إليه

ويلخص مشروع الوزارة فى أن تعهد إلى طائفة من الشعراء الممتازين تأليف خمسين قطعة غنائية فى مختلف الموضوعات التى تفى بما يجب توفره فى أغانى أمة قوية ممتازة ناهضة ، على أن تعهد إلى طائفة أخرى من كبار الملحنين وضع الألحان المناسبة لها

وستترك الحرية لهؤلاء الشعراء والملحنين فى القيام بعملهم خاضعين فيه لوحى شعورهم وإلهامهم الخاص ، وتعطى على القطعة الواحدة عشرة جنيهات للتأليف وعشرة أخرى للتلحين . على أن يتجدد تأليف هذه الأغانى كل سنة حتى يتوفر منها العدد الكافى الذى يقضى على ما هو موجود الآن

وستتبع الوزارة فى موضوع « الأناشيد » نفس ما تتبعه فى الأغانى ، إذ رأت أن الذين يضعونها الآن من ناحية الصناعة لا ناحية الشعور يضرون بالقيمة الفنية التى لو توفرت فيها لأثمرت فيما وضعت له

ترشيح عميد الآداب لعضوية معهد التعاون الفكرى

تلقت وزارة الخارجية كتاباً من وزير الخارجية الفرنسية ، بوصفه مقرراً لمعهد التعاون الفكرى ، يرشح فيه صاحب العزة الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب عضواً فى المعهد ، لما له من أثر ظاهر فى الثقافتين العربية والفرنسية

وينتظر بعد أن توافق مصر على هذا الترشيح ، أن يعرض الأمر على سكرتيرية عصبة الأمم لإقراره

المباراة الأدبية بين رجال التعليم

طلبت وزارة المعارف ، إلى اللجان الفرعية التى كلفت لدراسة المؤلفات التى وضعها رجال التعليم فى مختلف نواحى المباراة الأدبية وبحثها ، أن تقدم تقاريرها قبل يوم ١٨ فبراير القادم

وقد بدأت الرسائل الخاصة بالموسم الثانى لهذه المباراة ترد على الوزارة توطئة لدرسها واتخاذ قرار فيها

التدريب والتكليب

استفاض على ألسنة الكثرة المثقفة قولهم « الكلب هول ومدربه فلان ... » وهو خطأ لغوى إذ الصحيح أن يقال : « الكلب هول ومكلبه فلان ... » سواء أرادوا بفلان أن يكون مسلطه على الجناة للدلالة عليهم أو هو الذى ضراه وعلمه طريقة الإرشاد إليهم، إذ بكل من المعنيين وردت كلمة «مكلب» فى لغتنا بصدد الحديث عن كلاب الصيد ولا يصح استعمال غيرها فى هذا الصدد، وما تسليطه على الجناة للدلالة عليهم إلا كتسليطه للصيد وتعويق الصيد .

وقد جاء فى لسان العرب ص ٢١٧ من الجزء الثانى « ومكلب مضر للكلاب على الصيد معلم لها؛ وقد يكون التكليب واقعاً على الفهد وسباع الطير . وفى التنزيل العزيز وما علمتم من الجوارح مكلبين . والكلّاب — بتضعيف اللام — صاحب الكلاب ، والمكلب الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد. وفى حديث الصيد : إن لى كلاباً مكلبة فأفتنى فى صيدها . المكلبة المسلطة على الصيد المعودة بالاصطياد الذى قد ضريت به والمكلب بالكسر صاحبها والذى يصطاد بها »

احمد عبد الرحمن عيسى

مؤلفات موسيقى نابغ

جاءنا من وارسو أنه سيصدر فى فبراير القادم الجزء الأول من مؤلفات الموسيقى شوبان البولونى المشهور .

وسيشرف الموسيقى المعاصر المسيو بدرفسكى على إخراج هذه المؤلفات . وينتظر أن يتم إخراجها جميعا فى مدى أربعة أعوام

فياليت هذا العمل يكون له مشابه فى مصر وفى الشرق فنجد من يعنى بإحياء مؤلفات تعد من الكنوز سواء فى العلم أو الأدب أو الفن .

ولا يصعب العثور فى دار الكتب المصرية على مخطوطات إذا عمل على نشرها وإذاعتها فإنها ستكون موضع عناية أمم العالم وتصبح بمثابة دعاية قيمة تسجل لنا السير فى مضمار الأمم الناهضة فعلاً لا قولا .

احياء ذكرى العلماء والأدباء

قررت الحكومة التركية إصدار مجموعة من طوابع البريد لمناسبة انقضاء خمسين عاماً على وفاة الشاعر القومى نامق كمال ، وستحمل تلك الطوابع صورة الشاعر وبعض كلمات من شعره



في الفرقة القومية

المخرج فلاندر وسكرتير الفرقة

الخواجة فلاندر مخرج استقدمته الفرقة من بلده باريس ليعمل فيها بعد إذ عاف الأستاذ زكي طليمات العمل، وبعد إقصاء الأستاذ عزيز عيد عنه والاكتفاء بالمخرج عمر الجميعي ريثما يعود فتوح نشاطي الموفد إلى فرنسا للتخصص في فن الإخراج

والخواجة فلاندر له ذوق وله فن، وهو رغم جهله لغتنا العربية وعادات أمتنا وتقاليدها، قد استطاع أن يساهم في إخراج بعض روايات موضوعة فكساها رونقاً وأضفى عليها بهاء فنياً، كما أخرج رواية مترجمة يعرفها في الأصل إخراجاً تقليدياً لا اعتراض عليه في الشكل المسرحي، والحركة التمثيلية. ولا أقول شيئاً في الإضاءة لأن معداتها ناقصة نقصاً لا سبيل إلى تداركه

ولعل أحسن الروايات التي أخرجها، وأدناها إلى الدلالة على استعداده الفني هي رواية «المتحذلقات» المكونة من فصل واحد

أزعم أن لمحة واحدة من الناقد يلمح لمعانها في رجل الفن تكفي للدلالة على أن وراءها ما بعدها. فلمعان فن الخواجة فلاندر بدا في قدرته على إلجام ممثلات وممثلي رواية المتحذلقات وتقييدهم كما يفعل مروض البغال الشموسة ومدرب الببغاوات، وفي صدهم عن الإسراف في العطاء أكثر من اللازم الواجب. مثال ذلك: الممثل الضحاك فؤاد شفيق كان أكبر همه استلفات النظر إلى حركاته وإشاراته، غير آبه لإرشادات المخرجين بدعوى أنه يفهم فنه أكثر منهم، ويدرك رغبات النظارة وميولهم، وغير حافل بما تحدث حركاته وإشاراته من خلل في سياق الرواية ومن صرف الأذهان عن الغرض الصارم الذي مهد له المؤلف بنكتة أو إشارة، إذ كانت غايته كما قلت إضحاك الناس فقط

وهكذا الممثلة أمينة نور الدين فقد اقتبست بعض حركات من بعض ممثلي السينما أمثال هاردي ولوريل وأضرابهما ممن يقوم تمثيلهم على الحركة المفتعلة. ولم تكتف بالأخذ عنهم كالقردة بل أخذت تغرق في التقليد والافتعال إغراقاً ممجوجاً وهذا ما دعاني إلى تشبيهها «بالساروخ» إذا اشتعل وارتفع في الفضاء تبدو نجومه لامعة وضاءة بعض لحظة، ولكن كثيراً ما لا يشتعل لفساد مادته فينخنق وهو في الأرض

أما هذا المخرج، أو بعبارة أصح هذا المروض، فقد استطاع أن يجعلهما يقومان بدورهما على وجه مقبول، وهذا بعض المطلوب منه

ما كنت أبتغي الإلماع إلى هذه الناحية من النقد لولا حوافز ثلاثة:

١ — إدعاء قطب من أقطاب لجنة القراءة أن رأي النقاد المسرحيين لا يتعدى، بل يجب ألا يتعدى ناحية إخراج الرواية وطولها وقصرها على الوقت المناسب

٢ — إدعاء قطب ثان أن ليس في مصر نقاد

٣ — شكوى الخواجه فلاندر من سكوت الصحف وأغضاء النقاد عنه

أما أنا فلن أسكت عن دحض الادعاء وعن نفي التهمة عن الناقدين المترفعين والأدباء المنصرفين عن الفرقة اشمئزازاً من أعمال رجالها الذين يتخبطون في ظلمات الادعاءات، ولن أتراجع حتى أظهر العلل التي أخذت تتأصل في الفرقة لوزارة المعارف المغضية عنها، ولأعضاء البرلمان الذين يغذونها من مال الأمة، ولكني أقتصر الآن على تفهيم الخواجة فلاندر بأن في مصر صحافة قوية، وفيها نقاد يحسب لهم ألف حساب، وإن مصر

تتوقل فى نهضتها الثقافية سلم الارتقاء ، وتتوجه بدوافع فردية ، لا جماعية ولا حكومية ، صوب المثل العليا ، وإن قول المغرضين أن لحقطا يعتور الأدباء إنما هو محض افتراء على مصر الناهضة وشبابها اليقظ .

وإن فى الفرقة القومية — وياللأسف — جماعة ، وصلوا فى غفلة الزمن ، إلى وظيفة لم يخلقوا لها ، ومن هؤلاء موظف يقول إنه سكرتير الفرقة القومية واليد المنفذة لما يرتئيه أو يشير به مديرها والحامل « كرت بلانش » منه ، فهذا المخلوق المكلف بتوجيه الدعوات إلى رجال الصحافة وجماعات الأدباء يقبض يده عن الصحافة الناقدة ويبسطها بسخاء على الصحافة التى تنشر المدائح والتقريظ مأجورة بالمال ، ويفيض بها فيضاً على من لا أذكرهم وعلى نسوة ما عرفن من الأوبرا سوى بابها الخارجى

وهـذا المخلوق يعطى تذاكر الدعوات ، لا جوداً ولا كرماً كأصحاب البدوات . بل حرماناً وتشفياً من صحافة ومن أدباء يرون الفرقة قد تحولت إلى « تكية » ، وأن رجالها تهاونوا فى تحقيق غرضها الثقافى ، ومن هؤلاء المحرومين من « نعمة » سكرتيرها المحجل ناقد مجلة الرسالة

كم من صحيفة أمثال « الرسالة » لم تشملها نعمة الفرقة ؟ وكم من أديب مغضوب عليه من سكرتير آخر الزمان لأنه لا يذكره إلا بقدر فهمه المحدود ؟

ليت الخواجة فلاندر الذى يشكو من إهمال الصحافة والنقاد لفنه يعرف أنه ما من سطر واحد ينشر فى الصحف إلا بأجر يدفعه المدير . وليته يعلم مدير الفرقة ويفهم السكرتير الذى لا يفهم أن الفرقة القومية للتمثيل هى للأدباء ورجال الصحافة والمتأدبين وطلاب الجامعات والكليات والمدارس العليا . هى لهؤلاء قبل كل شىء ، وليست للمثلات يدعون إليها أترابهن ومعهن أصدقاؤهن ، ولا للمثلين يوزعون الدعوات على المارة وجلاس القهوات وموظفى المحلات التجارية

ليت الخواجة فلاندر يقول لمدير إدارة الفرقة إن « بيت موليير » يرسل تذاكر الدعوات إلى أساتذة الكليات ، وهؤلاء يوزعونها بالقسط على الطلاب ، وأن الطلاب يتهافتون على مسرح الكوميدى فرانسيز والأودون وسواهما من المسارح التى تغذيها وزارة المعارف بالاعانات كما يتهافتون على مطالعة الكتب المفروضة عليهم

ليت الخواجه فلاندر يقول لمديره إن واجبه يحتم عليه تفقد مندوبى الصحف إذا تغيب واحد منهم ، وأن يسعى إلى الناقد يسأله عما عاقه عن حضور التمثيل ، وأن يأمر ببيع عدد من التذاكر بأثمان مخفضة كما هى الحال فى كل فرق التمثيل التى ترعاها الحكومة

ليت سعادة المدير يعرف أن الفرقة هى للأدبيات والأدباء وأن مقاصير الأوبرا ليست لتاجر الخمور ، وبائع الأقمشة والخياط والحذاء الذين لا يعرفون ولا يفقهون من فن التمثيل شيئاً ، وأن الأليق من هؤلاء بجلوس المقاصير هم الذين يفهمون الحياة عن غير طريق جمع الملاليم إلى قروش والقروش إلى جنيهات تدخر لبناء مسرح خاص بالفرقة يغنيها عن استعارة الأوبرا بعض الوقت

أحسب أنى لو قلت فى خور الفرقة وهزالها وعجزها عن تحقيق بعض ما هو مطلوب منها تحقيقه أضعاف ما قلته لعددت نفسى من المقصرين ، ولكنى أرى لزاماً علىّ حرصاً منى على حياتها ، وتفادياً لما قد يخالط أذهان بعض الذين لا يرون سوى ظواهر الأشياء ، أن أشرك معى طائفة من الأدباء فى إبداء الرأى فى هذه المؤسسة التى أرادتها وزارة المعارف وأرادها نواب الأمة لغرض ثقافى نبيل ، فتحولت بفضل الرجال الأفذاذ إلى « مصطبة » للشيوخ العلماء المتعالين و « تكية » للكسالى من الممثلين والمتعطلين وقفا كل الصحفيين وحثالة المتأدبين

ابن عساكر